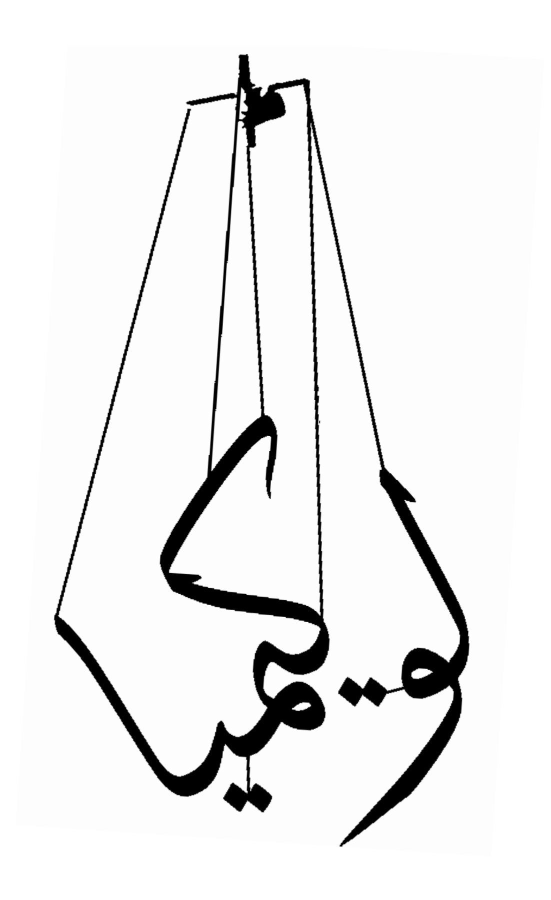



شادي أبو شهبه

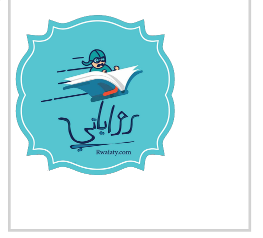
لوغاريتم للنشر والتوزيع




شادي أبو شهبه






**لوكيميا: رواية**
**الكاتب: شادي أبو شهبه**
**غلاف: إسلام مجاهد**
**تدقيق لغوي وإخراج داخلي: الباشا عبدالباسط**
**رقم الإيداع: 11597 / 2018**
**الترقيم الدولي: 2 - 23 - 6642 - 977 - 978**

**دار لوغاريتم للنشر والتوزيع والترجمة**

**E_mail: Logarithpublish@gmail.com**
Tel.: **01015642559**




**المدير العام: إيناس ناصر**
**المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة**



# إهداء

لكل المختلفين، المؤمنين بالليل وسحره، محبي القهوة والشعر والبحر، للناس الغامقة اللي بيحبوا الوحدة، اللي بيسمعوا المزيكا عشان يفضل نبضهم شغال.

إهداء للمؤمنين بالتناقض ومستوعبينه، للي داقوا كدمات الروح ونار البعد، لكل مكان رُحته وسبت فيه جزء من روحي، لكل غريب في نظر الناس عشان لوحده، وكل حد مؤمن بتجربته رغم حرب النفوس.

وأخيرًا إهداء لشعر عمرو حسن ولكل حالة دخلتها بسببه ولسَّا ما خرجتش منها، لكل حاجة وعكسها.

للي قادر برغم الاختلاف بينهم يفهمم مع بعض.

إهداء للقصيدتين اللي عاشوا الرواية أكتر ما انا عِشتها واللي آمنت بيهم وبكل اختلاف فيهم

" القاهرة – البونتو "

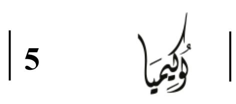
* * *



" للأمل اللي لازم نمسك فيه، وبكرة اللي لازم نحلم بيه "

* * *





7 / 5 / 2015

كان المكان مزدحمًا تمامًا، يشبه خلية النحل التي لا تتوقف عن العمل، أشخاص تأتي وتذهب، مئات الأوراق المتناثرة هنا وهناك، وأصوات أجراس الهواتف التي لا يتوقف رنينها، تلك الحركة الروتينية التي اعتاد أن يراها دومًا وباستمرار، انتقل عبر الممرات موجهًا بعض التحيات الواجبة بابتسامة لا تفارق وجهه أبدًا، يتوقف قليلًا ليجيب على استفسار ما، يعدل بعض الكلمات والأفكار بذهن متقد، يعطي الأوامر السريعة معلنًا عن خطة النشر القادمة بوضوح تام وبساطة غريبة اعتاد الجميع عليها، لعل ذلك الأسلوب هو من جعل منه المنسق العام لجريدة " أسلوب حياة " والذي يعتبره البعض الشخص المناسب لإدارة الجريدة كبديلٍ عن مديرها العام الحالي..

- المدير بيسأل عليك من الصبح يا مستر سامي

التفت إلى ذلك الصوت الأنثوي الذي أضاف: شكله مش مبسوط خالص وأوت أوف موود، وكل شوية يسأل عليك

- ماشي أنا داخل له أهو وهاشوف في إيه، شكرًا يا ميرنا

وقف للحظات ليفكر فيما سيفعل، هل يذهب إلى مكتبه، ينهي بعض الأوراق سريعًا، ثم يذهب للمدير..

أم يتجه صوب مديره أولًا، ليمتص تلك الشحنة الكبيرة من الغضب التي استشعر وجودها من حديثه مع ميرنا..



انحاز للفكرة الثانية، نوعًا ما يراها هي الأفضل..

عدل مقصده، اتجه صوب باب المدير وطلب الإذن بالدخول..

لم تمر ثوانٍ حتى جاء الرد..

- ادخل

فتح الباب على تلك الغرفة الكبيرة التي تليق تمامًا بمكتب المدير العام، فتتنوع الديكورات بين الأسقف المعلقة والديكورات الجذابة والاختيار الساحر للألوان، وقعت عينيه على ذلك المكتب الخشبي الذي غاص تمامًا تحت ذلك الكم الهائل من الأوراق، وذلك الكرسي الجلدي أسود اللون الذي يحمل خلفه المدير العام، والذي كان بدوره يتحدث في هاتفه صارخًا:

ما هو مش لعب عيال، يعني إيه التحقيق باظ؟ ومصادرك كانت فين؟ لا لا لا دا شغل عيال دا مش شغل ناس المفروض انها محترفة، شوف يا حبيبي أنا مش هاسمح بالمهزلة دي تحصل، قدامك ساعتين وتكون غطيت الموضوع، إزاي بقى أنا ما اعرفش، سلام..

أغلق الهاتف، استدار وألقاه بعصبية واضحة، ليكتشف وصول المنسق العام للجريدة سامي النشار..

- صباح الخير يا ريس، مالك في إيه؟؟

- صباح الخير يا سامي، مع إن اللي يشتغل شغلانة زي دي ما يشوفش خير ليه يا ريس بس مالك في إيه؟!

- الواد الصحفي دا اللي اسمه كريم، ضيع من إيده تحقيق صحفي كان هينقل الجريدة لمكان تاني، غبي..





- المهم سيبك انت عملت إيه في تحقيقك؟

- جاهز وزمانه بيتراجع دلوقتي برًّا.

- طيب حلو جدًّا، والرواية بتاعتك؟؟

- لسَّا والله ما بدأتهاش، كنت مشغول في التحقيق الأخير، بس أوعدك إني هابدأ فيها قريب..

- كويس إنك لسَّا ما بدأتش، خد دا هيفيدك قوي

أخرج المدير من أحد أدراج مكتبه بطاقه ما، تلقاها سامي ليكتشف أنها دعوة لحضور مؤتمر بعنوان " لوكيميا "

- دا المؤتمر النهاردا!! قال سامي متعجبًا.

- آه ما انا نسيت أقول لك، لو عاوز تروح روح وانا هاكلم ميرنا تلغي لك كل مواعيدك..

- تمام يا ريس متشكر قوي..

غادر سامي غرفة المدير والجريدة مستقلًا سيارته إلى العنوان المقصود، لا يعلم من أين سيبدأ، فعليه أن يبدأ فورًا في روايته الجديدة التي لم يختر لها اسمًا، حتى يملك الوقت الكافي للكتابة والتعديل لتكون روايته جاهزة قبل المعرض القادم، لا يملك الآن رفاهية الاختيار أو التأجيل، فقد تغيب لعامين متواصلين عن معرض الكتاب مُذ بدأ رحلته في نشر أعماله الروائية، مما دفع الجمهور إلى مطالبته بعمل جديد والذي صرح لهم بأنه بالفعل بصدد

كتابه رواية مختلفة تمامًا عن جميع أعماله السابقة، لكنه وحتى تلك اللحظة، لا يعلم ما الذي سيفعله..

وصل إلى المكان المقصود، نظر إلى ساعته ليكتشف أن هناك أكثر من عشرين دقيقة ضاعت، تمنى من الله ألا يكون قد فاته الكثير، وخصوصًا أنه يعلم بأهمية ذلك المؤتمر كمادة خام خصبة بالنسبة إليه ككاتب..

وصل إلى قاعة المؤتمر، أبرز دعوة الحضور على الباب الرئيسي ودخل في صمت ليستمع لتلك الشابة التي تقف على خشبة المسرح.

هارجعكم بس بالزمن 5 سنين ورا

* * *

## (1)

20 / 9 / 2009

كانت قاعة السيمنار مكتملة العدد، لا يوجد كرسي فارغ، فاليوم هو ميعاد مناقشة الرسالة المقدمة من " إياد الملواني " المدرس بقسم علم النفس – كلية الآداب – جامعة القاهرة..

كانت القاعة متوسطه الحجم تحوي ما يقرب من المائة شخص، يراقبون وباهتمام تام كلمات ذلك الشخص الذي وقف بأقصى يسار القاعة يناقش ويجادل بعض الأسئلة الموجهة له من لجنة المُحَكَّمين المكونة من أربعة أشخاص، والذين كانوا بدورهم يسجلون بعض الكلمات والأرقام في بعض الخانات المخصصة لها..

دقايق وهيتم إعلان النتيجة.

صرح رئيس لجنة المُحَكَّمين بذلك. توقف إياد الملواني قليلًا لتناول بعض القطرات من الماء العذب، التفت إلى صديقه الوحيد علي الذي كان جالسًا في الصف الأول من القاعة، تبادلا النظرات معًا، تلك النظرات الصادرة من عين علي التي تنم عن إعجابه وفخره الشديد بصديق العمر إياد..

عاد علي بذاكرته للوراء، تذكر أيام طفولتهما معًا، المدرسة التجريبة التي احتوت أيام الطفولة والشباب، الإجازات الصيفية التي شهدت على أجمل






أيام حياتهما، وعلى الرغم من دخول كل منهما كلية مختلفة، إلا أن رحلات الجامعة كانت تجمع بينهما كالعادة، واليوم ها هو نجاح آخر في حياتهما معًا يتوج به إياد، فبعد قليل ستعلن اللجنة قبولها للرسالة وحصول إياد على الدكتوراة، تلك الخطوة التي أرادها إياد منذ وقت كبير، حتى يتسني له فتح عيادته النفسية الخاصة بإعادة التأهيل كما كان يحلم منذ الصغر..

عاد علي من شروده مرة أخرى، منتبهًا بصوت التنبيه الصادر من مكبر الصوت، ثوان مرت وسكنت القاعة..

قال رئيس لجنة التحكيم بصوت هادئ، قررت اللجنة منح الباحث إياد الملواني درجة دكتور في الآداب عن الرسالة المقدمة بعنوان "علم النفس بين الدراسة والتطبيق" بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وتوصية بطباعتها متمنيين له النجاح والتوفيق..

غادر أعضاء لجنة التحكيم أماكنهم، تاركين خلفهم العشرات من الأشخاص التي احتلت المنصة، تهنئة لإياد على تلك الخطوة الكبيرة التي طالما انتظرها كثيرًا وسهر من أجلها ليالٍ..

انتهت موجات التهنئة الحارة سريعًا، غادر الجميع أماكنهم باستثناء صديقه علي، فقد فضَّل أن يحتفل مع صديقه بطريقتهم الخاصة، اقترب منه ببطء شديد دون أن يخلو وجهه من تلك الابتسامة المعهودة، وقف على بعد خطوة واحدة من إياد وفتح ذراعيه ليستقبل صديقه داخلهما..

- مبروك يا إياد، ألف مبروك، قال علي

- الله يبارك فيك يا علي، عقبالك يا حبيبي يا رب







- بجد أنا كنت حاسس إن انا اللي باتكرم مش انتَ.

- وانا وانت إيه يا علي، مش واحد؟!! قال إياد مستهجنًا وأضاف.

إحنا طول عمرنا كنا واحد في كل حاجة، حتى الكلية ما فرقتناش عن بعض، صدقني يا علي انت مش بس صاحبي، انت أخويا اللي ما جابتهوش أمي

- صحيح بالمناسبة، طنط عاملة إيه دلوقتي؟ لسَّا تعبانة؟

- قوي يا علي، تعبانه قوي.. انت ما تتخيلش أنا كنت عامل ازاي وهيَّ مش موجودة، ما كنتش متخيل إن في يوم مناقشتي ما تقدرش تيجي وتشوفني عشان تفرح بيَّ، الفرحة من غيرها ناقصة يا علي.

- طب انت كلمتها ولا لسَّا؟

- لا مش هاكلمها، أنا هاحب أعملها لها مفاجأة أما أروح.

- طب يلا بينا بسرعة على البيت، هيَّ أكيد قاعدة مستنياك دلوقتي.

- يلا

غادر علي وإياد القاعة إلى جراج السيارات، جلس علي على مقعد القيادة وبجواره إياد الذي بدا على وجهه ملامح الضيق.

- يا ابني انت بتعشق النكد؟! قال علي مستهجننا.

- مش عارف أفرح من غيرها يا علي، فعلًا الفرحة من غيرها ما لهاش طعم، بايخة قوي كدا ماتعرفش ليه، كأن الدنيا من غيرها مش دنيا والحياة من غيرها مش حياة.






- ربنا يخليها لنا يا رب، طنط دي حتة سكرة.. هيَّ إن شاء الله هتخف وتبقى كويسة قوي

- يا رب يا علي، أنا قلقان عليها قوي، عارف.. أنا ما اعرفش حياتي هتبقى عاملة ازاي من غيرها، أمي يا علي مش مجرد أم، أمي دي هي أمي وأبويا وأصحابي وكل حاجة في حياتي، تعرف إنها من يوم ما انفصلت عن بابا رفضت كل العرسان اللي اتقدموا لها ، قتلت نفسها وهيَّ في عز شبابها عشان خاطر ابنها، عشرين سنة يا علي وهيَّ كانت فيهم كل حاجة في حياتي، وعمرها ما حرمتني من أي حاجة..

كانت فعلًا وما زالت مثال للأم المثالية، عملت عشاني كل حاجة، وما كانتش مستنية حد يقف جنبها، كان أملها في ربنا كبير قوي إنها تشوفني حاجة كويسة، عشان كدا أنا زعلان قوي إنها مش هنا دلوقتي، كان نفسي تشوف الفرحة وتشاركني نجاحي، اللي هو في الأصل نجاحها.

- خلاص بقى يا إياد إيه كل دا؟! انت هتقلقني ليه؟! ما هي كويسة أهي وهو كسر بسيط في الرجل وإن شاء الله هتقوم منه بالسلامة، شد انت حيلك بس وابدأ جهز في عيادتك وانا متأكد إنَّها فخورة بيك جدًّا..

آه صحيح يا إياد، مامتك دي عظيمة جدًّا.

ابتسم إياد لصديقه علي ثم لزم الصمت، مر ما يقرب من نصف ساعة حتى وصلوا إلى منزل إياد.

- مش هتطلع معايا؟! قال إياد.

- لا يا عم، اطلع انت ارتاح، وانا يا دوب ألحق أروح أنا كمان أنام ساعتين وان شاء الله هننزل نحتفل بالليل







- طيب ماشي، كلمني اما تصحى.

- ماشي، وسلم لي على طنط كتير لحد ما اشوفها.

- الله يسلمك.

* * *

لا أحد ينام في الإسكندرية، وخصيصًا في آخر الأيام الصيفية.. حيث يودع الجميع صيفهم ويستعدوا لملاقاة عام جديد بعد عطلة قصيرة، تمتلئ الشوارع بالمصييفين والسيارات من مختلف أنحاء الجمهورية، بالكاد تستطيع أن تجد كرسيًّا خاليًا على أحد المقاهي المواجهة للكورنيش، أصوات المصيفين هنا وهناك تبعث الأمل والبهجة في نفوس الجميع. عدا بعض المتضررين من ذلك الازدحام المروري كسائقي عربات الأجرة..

في وسط ذلك الزحام كانت هناك سيارة ليموزين بيضاء قادمة للتو من مطار برج العرب، تحمل داخلها أسرة مكونة من أربعة أشخاص بالإضافة للسائق، جميعهم متضرر من ذلك الاختناق المروري الذي كلفهم أكثر من ثلاث ساعات من برج العرب حتى هنا، وقد دار بينهم الحوار على النحو التالي:

- أنا مش عارفة إيه الزحمة دي، مش كنا جينا الصبح مثلًا بدل الوقفة دي، أنا مش عارفة سمعت كلامك ازاي يا رأفت. قالت الأم.

- ما علش يا حبيبتي ما كناش لاقيين حجز تاني غير في الميعاد دا. قال رأفت.







- طيب يا رأفت، ما هي الغلطة مش غلطتك، غلطتي أنا إني سمعت كلامكو وسبت أستراليا عشان خاطر الهانم دي. وجهت الأم حديثها لابنتها.

- مامي أنا ما بقيتش صغيرة، كان ممكن تسيبوني آجي لوحدي، وبعدين ما احنا بقالنا سنتين بننزل، كنتِ قعدتي انتِ وسِبتيني أنزل أنا مش صغيرة.

- خلاص يا جيسي، خلاص يا ماما وقفوا بقى الكلام دا، إحنا نزلنا وخلاص اللي حصل حصل، وبعدين يا ماما ما تنسيش اننا متفقين إن البنات هيخشوا الجامعة في مصر، مش كدا يا جيسي؟

هزت جيسي رأسها إيجابًا.

* * *

حمد الله ع السلامة.

أفاقت جيسي على صوت مكبر الطائرة المعلن عن وصولها إلى مطار برج العرب، ابتسمت حين تذكرت الماضي، ثلاث سنوات تفصلها الآن عن ذلك اليوم الذي ارتسم في ذاكرتها للتو، تذكرت كيف كانت والدتها في قمة الغضب منذ وصولهم إلى أرض المطار، ما زالت تذكر أيامها الأولى في الإسكندرية، رفضها التام للإقامة على أرض مصر، لم تستمر إقامتها أكثر من شهرين وعادت سريعًا إلى أستراليا، وعلى الرغم من أن والدتها مصرية الأصل، إلا أنها أسترالية الجنسية، تعشق أرض أستراليا وتعتبر أن أستراليا هي بلدها الأم.







أما عن جيسي، فقد كان الأمر مختلفًا كثيرًا، فقد كانت جيسي رأفت الطالبة بالصف الرابع بكلية الفنون الجميلة ولاعبة الماريونيت الأشهر في الإسكندرية، فتاة غير عادية، فتاة مختلفة المنشأ والفكر.

ولدت جيسي بين أب مسلم وأم قبطية، في مجتمع غربي الفكر والثقافة، لكنها وبالرغم من ذلك لم تنسَ روح الفتاة الشرقية بداخلها، لم يستطع الغرب بإغراءاته وأفكاره المختلفة مع مجتمعنا الشرقي، أن ينسيها حقيقة كونها فتاة مسلمة، حتى ولو لم تكن ملتزمة الالتزام الكامل، إلا أنها لا تنسى مطلقًا تلك الحقيقة.

و لعل السبب في ذلك كان، تلك العلاقة الغريبة كانت بين والديها، فقد كان والدها شديد الاحترام لزوجته في كل شيء، يحترم طقوسها وأعيادها تمامًا كما كان يفعل في عيده الخاص، كما أنه قد جمعت بينهم قصة رومانسية من الطراز الأول، فقد جمعت بينهم الأقدار صدفة في أحد مؤتمرات حقوق الإنسان والذي كان من تنظيم والدتها، لم يكلفهما الأمر أكثر من شهرين حتى أشهروا زواجهم أمام الجميع، وبالرغم من اعتقاد البعض أن العلاقة بينهم لن تستمر طويلًا، إلا أن ظنون الجميع باءت بالفشل، فقد أنهى رأفت أعماله جميعها في مصر، غادر مع زوجته الجديدة إلى أستراليا، أنشأ أعماله الخاصة هناك.

لم يمر عام حتى رزقه الله بمولودته الأولى، جيسي، عاد إلى مصر لمدة قصيرة بعد الولادة الأولى، ثم استقر تمامًا بأستراليا بعد طفلته الثانية لأكثر من عشرة أعوام، لا تذكر أنها زارت مصر بعدها سوى مرتين للسياحة، لكنها



لسبب ما بداخلها هي لا تعلمه، أرادت أن تكمل تعليمها الجامعي بمصر، وخصيصًا بالإسكندرية التي كانت بمثابة مدينة السحر والجمال بالنسبة إليها..

انتهت تلك الأفكار في رأسها سريعًا بمجرد نزولها لأرض المطار، انتهت من فحص أوراقها وإجراءات المطار الروتينية، غادرت المطار على عجل إلى محطة الانتظار، طلبت من أحد السائقين إيصالها إلى شقتها بحي جليم، والتي اشتراها لها والدها بعدما تأكد من إصرارها على تنفيذ قرار الاستقرار والدراسة في مصر..

وصلت جيسي في إحدى الليالي الصيفية التي لا تختلف عن تلك الليلة التي تذكرتها، خلعت ملابسها على عجل وارتدت ثياب المنزل، ثم وقفت في شرفة غرفتها وطلبت رقمًا محفورًا في ذاكرتها..

- ألو، وحشتيني قوي يا يوستينا

آه يا حبيبتي باكلمك م الشقة أهو، ما رضيتش اتعبك والله، هتيجي دلوقتي؟ تنوري طبعًا يا حبيبتي، مستنياكِ.. باااي

أغلقت الخط وجلست تفكر كعادتها فيما ستفعل، تراجع ذكرياتها منذ وصولها إلى أرض المطار، أخذت تفكر في شقيقتها الصغرى ملك والتي تختلف كليًّا عن جيسي في أفكارها، تتذكر وكيف كانت تصرخ بها حين تناديها باسمها، ذلك الصوت الصاخب الذي يصيح " اسمي لي لي "، تبتسم رغمًا عنها حين تتذكر تعابير وجه شقيقتها وهي تخبرها بهويتها المصرية المسلمة.

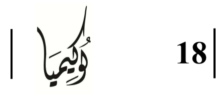



تختلف جيسي تمامًا عن لي لي في تلك النقطة، فجيسي تفتخر بهويتها العربية المسلمة، تفخر لكونها سليلة الفراعنة وتملؤها السعادة حين كانت تتعلم العربية في صباها على يد والدها، على عكس لي لي التي رفضت تمامًا تلك الفكرة، واكتفت بكونها مسلمة فقط في بطاقة إثبات الشخصية، فـ لي لي تنتمي للغرب قلبًا وقالبًا، تعشق كونها فتاة متحررة لا تنتمي للشرق بقيوده وبالرغم من أن فرق السن بينهم لا يتعدى أصابع الكف الواحد، إلا أن لي لي تملك فكرًا لفتاة غربية محنكة وتعتبر نفسها الأخت الكبرى، تعطي نفسها صلاحيات لا تملكها جيسي على الإطلاق..

تذكرت صديقتها يوستينا التي أغلقت معها الهاتف للتو، تلك الفتاة الأوروبية التي تتشابه ظروفها كثيرًا معها، باستثناء أنها قبطية الأبوين، وأن والداها غادرا أوروبا وأقدما سويًا على الاستقرار بمصر..

تذكرت كيف كانت أيامها الأولى معًا في الجامعة، رفض الجميع الاقتراب منهما لأسباب مبهمة بالنسبة لكليهما، هل كان غطاء الرأس سببًا في ذلك؟؟

لا تعلم حتى وقتها هذا السبب الحقيقي، لكنها اكتفت بصديقتها يوستينا التي عوضتها عن غياب الأهل والأصدقاء، يوستينا التي كانت شريكتها في كل شيء في حياتها، حتى غرفتها داخل الشقة كانتا تتقاسماها سويًا، الطقوس والعبادات لكل منهما كانت تحترم من قبل الطرف الآخر حتى أن الأعياد والمناسبات كانت مصدر بهجة لكليهما، ففي الأعياد القبطية، تذهب جيسي بصحبة يوستينا إلى كنيسة القديسين بسيدي بشر التي كانت الأقرب لمنزل يوستينا الكائن بمنطقة سيدي بشر، ولعل اسم جيسي وثقافتها الأوروبية

كانا سببًا في عدم لفت الأنظار لها داخل الكنيسة، إضافة إلى غطاء الرأس الذي لا تضعه على عكس الكثير من فتيات دينها، وقد كانت تلك الأسباب كافية لتبرر وجودها باستمرار مع صديقتها داخل الكنيسة..

أما آخر من شغل بالها هو والدها رأفت، ذلك الرجل الشرقي الملامح والطباع والذي غرس فيها منذ اللحظة الأولى تعاليم الدين الصحيحة، وأنشأها على حياة الغرب بما يناسب معتقدات الشرق وتعاليم الإسلام، تذكرت كيف تحول إلى رجل غربي تمامًا بعد رحلته الأخيرة لمصر أثناء مرحلة نموها، حتى أنه أهمل تمامًا في معاملة لي لي منذ الصغر، مكتفيًا بإسناد المهمة إلى زوجته، التفت لأعماله ومشاريعه التي كانت جيسي أحدهم، فإنه وإن كان قد أهمل معاملة لي لي، لم يستطع أن يهمل معاملة جيسي أو تركها دون رعايته، سعى لتعليمها على أعلى مستوى، انتبه منذ الصغر لشغفها بالعرائس المتحركة ومسرح الماريونيت، سجل اسمها في دورات تعليم المسرح المتحرك، والذي أظهرت فيها براعة بطريقة كبيرة.

تذكر كيف حاولت إقناعه بفكرة الابتعاد عنه والذهاب لاستكمال دراستها في مصر، أخبرته أنها فتاة شرقية المنشأ ومسلمة العقيدة، تعلم جيدًا الصواب والخطأ وبالتالي لا داعي للقلق عليها، حاولت معه مرات ومرات حتى غلبته بقوة حجتها ومكانتها في قلبه، حتى اقتنع أخيرًا وعلى مضض بالفكرة وآثر الرحيل بالأسرة إلى الإسكندرية، لكنه وبعد أقل من شهرين اكتشف أنه لا يستطيع التأقلم، كما رفضت زوجته وابنته الصغرى الإقامة بعيدًا عن الأهل والأصدقاء في أستراليا، مما دفع رأفت في آخر الأمر إلى العودة مرة



أخرى، تاركًا خلفه ابنته الكبرى ومجموعة من النصائح الهامة التي كانت تعلمها جيدًا وعملت بها لمدة ثلاث سنوات..

قطع حبل أفكارها صوت فتح الباب، انتبهت لوصول صديقتها يوستينا والتي كانت تملك نسخة من المفتاح حاملة مجموعة كبيرة من الأكياس المحملة بمختلف البضائع..

- جيسي وحشتيني قوي، صاحت يوستينا قائلة.

- اِنتِ كمان يا يوسي والله وحشتيني جدًّا، وبعدين إيه كل دا يا بنتي؟!

- أنا قلت اِنتِ أكيد مش هتجيبي حاجة قلت أجيب شوية حاجات للتلاجة كدا، وبعدين أنا أصلًا زعلانة منك قلتِ هاسافر شهر وهاجي لك لآخر الإجازة.

- ماعلش والله يا بنتي بس فعلًا بابا تعب وكان لازم أبقى جنبه.

- ليه خير في إيه؟ قالت يوستينا بقلق واضح.

- لا يا بنتي بقى كويس الحمد لله، أزمة وعدت، وبعدين لسَّا فاضل أسبوعين ع الدراسة هنلحق ننبسط ونلف كتير.

- أكيد طبعًا، وما تنسيش إن عندنا كذا حفلة في أول الترم وانتِ بقالك شهور ما اتدربتيش..

- ما تقلقيش يا حبيبتي الماريونيت دا إحساس بيتولد جواك، حاجة صعب كدا تتنسي، وبعدين تعالي بقى أوريكِ جبت لك إيه..

- يلا بينا..





وصل إياد إلى شقته، اتجه مباشرة صوب الغرفة الرئيسة، طرق الباب حتى جاءه الإذن بالدخول..

- خير يا ابني عملت إيه؟!

قالت تلك السيدة الجالسة على الفراش ذات الجبيرة في إحدى قدميها.

- الحمد لله يا ماما الرسالة اتقبلت

- بجد يا ابني، ألف مليون مبروك، كان نفسي أبقى معاك قوي في اليوم دا يا حبيبي، بس نعمل إيه بقى دا نصيب وقدر، وما حدش بياخد أكتر من نصيبه.

- الله يبارك فيكِ يا ست الكل وبعدين ما هو كله بفضل دعواتك لِيَّ ليل ونهار، وبعدين يا ستي ما اِنتِ كنتِ معايا لحظة بلحظة..

- معاك ازاي؟! قالت مستهجنة.

- مش انا حتة منك، يعني في الأصل أنا اِنتِ، وبعدين صورتك ما كانتش مفارقاني وانا باناقش الرسالة..

- يا لهوي عليك يا إياد، هتفضل طول عمرك بكاش وبتضحك على عقلي

- إحنا لينا بركة إلا اِنتِ يا ست الكل، وبعدين يلا يا جميل بقى قوم لنا بالسلامة كدا عاوزين نخرج بقى ونتفسح، وبعدين لسَّا لِيَّ عندك عزومة، نسيتِ بقى ولا إيه؟

- لا طبعًا يا ابني ما نسيتش، ودي حاجة تتنسي برضه. دا أنا فرحتي النهاردا ما تتوصفش، ربنا يعلي مراتبك كمان وكمان ويرزقك ببنت الحلال اللي تستاهلك وتصونك..







صمت إياد قليلًا بعد تلك الدعوة الأخيرة، قبل يد والدته وهم بالرحيل، نحو غرفته.

كانت غرفة تقليدية لشاب لم ليتزوج بعد، فبالرغم من مظاهر الثراء الظاهرة من بعض الأنتيكات والأجهزة الكهربية الحديثة، إلا أنها كانت غير منظمة إطلاقًا، وكأنها لم تعرف معنى النظافة منذ سنوات.

ذهب إياد إلى ركن ما في أقصى الغرفة، أمسك بحقيبة ما وأخرج منها جيتارًا خشبيًّا، جلس على أقرب الكراسي إليه وبدأ يحدثه..

صديقي العزيز، وحشتني قوي، الفترة اللي فاتت كنت مقصر معاك!! ماعلش، زي ما انت شايف كدا كان ورايا مناقشة رسالة ومذاكرة وحاجات كتير بس أوعدك إني أتفرغ لك تمامًا الفترة الجاية وهاغير لك الأوتار كمان، عشان نرجع ننبسط سوا زي زمان..

كانت علاقته بتلك الآلة الموسيقية علاقة من نوع خاص، يعتقد من يراها أن إياد الملواني والذي يعتبر بمثابة طبيب نفسي قد فقد عقله، يعتبره إياد صديقه الخاص، رفيقه الذي عاش معه أكثر من عشر سنوات ولم يتركه كبعض البشر، يعتني به إياد كثيرًا ويتفانى في تجديده وتزويده بما يحتاج، يقضي ليالٍ طويلة في العزف عليه دون أن يكل، حتى ولو أهمله قليلًا بسبب ضغوط الحياة وأعبائها، فإنه يعود إليه مرة أخرى ليجده في انتظاره، كما يفعل الصديق دومًا في استقبال صديقه العائد للتو من السفر..

وضع إياد جيتاره جانبًا، لم يستطع تغيير ملابسه من فرط التعب، اكتفى بخلع جاكيت بدلته وألقى بنفسه على السرير في ثبات تام..






لا يعلم كم فات من الوقت وهو على هذا الحال، لم يشعر بنفسه إلا وحبات العرق قد غطت وجهه وجسده بالكامل، شعر باهتزاز هاتفه مرات ومرات، فتحه ليعلم أنه قد مضت خمس ساعات وهو على ذلك الحال، حاول طرد النوم من عينيه، أمسك الهاتف وطلب صديقه علي طالبًا منه المرور عليه بعد ساعة واحدة، مرت دقائق أخرى حاول فيها تحريك جسده الذي أنهكه التعب لأيام متواصلة من السهر..

أفاق أخيرًا وغادر سريره، ذهب إلى الحمام ليأخذ حمامًا ساخنًا، دخل للاطمئنان على والدته فوجد النعاس قد غلبها، بدل ملابسه سريعًا وغادر المنزل فور وصول صديقه علي..

- ها بقى، تحب نروح فين؟ قال علي.

- مش عارف الواحد عاوز يفصل شوية بعيد عن الناس

- بص في كافيه جديد هيفتح النهاردا في المعادي إنما إيه، حاجة شيك جدًّا

- لا لا لا مليش مزاج للكافيهات، اطلع على قهوة حمودة

- حمودة؟! صاح علي

- أيوة قهوة حمودة، إيه مش عارفها؟!

- لا طبعًا عارفها، هو انت بتحب غيرها، أنا مش عارف برضه إيه سر حبك للقهوة دي، يا ابني دي الكراسي بتاعتها أقدم من الملك فاروق

- تعالى نروح بس وانا هاحكي لك.

وصل إياد وعلي إلى أحد الشوارع الجانبية بمنطقة مصر القديمة، غادرا السيارة لعدم تمكنها من المضي في ذلك الطريق أكثر من ذلك، انتقلا عبر الشوارع الصغيرة حتى وصلا إلى قهوة حمودة..



دكان صغير لا يتعدى مساحته ثلاثة أمتار مربعة، لا يتسع إلا لطاولتين أو ثلاثة على الأكثر، وأمام الدكان وضع عدد كبير من الطاولات والكراسي.

كان المكان مزدحمًا تمامًا بالكاد يمكنك أن تقف بين ممرات الطاولات وبعضها البعض، وقف علي وإياد قليلًا حتى رآهم عامل القهوة.

- يا مرحب بالدكترة يا مرحب، ها نقول مبروك؟ صاح عامل القهوة.

- قول يا عم دقدق، والله يبارك فيك يا راجل يا طيب.

- ثواني يا بهوات واجيبلكو طرابيزة.

غادر عم دقدق للحظات وعاد حاملًا طاولة ثم أحضر كرسيين لعلي وإياد وغادر سريعًا..

- برضه مش هتقول لي إيه سر حبك في المكان دا؟ قال علي.

- أنا هاقول لك يا سيدي، قهوة حمودة مش مجرد قهوة. دي عاملة زي المسرح، تخش تسمع حواديت وتعيش في رحلة طول ما انت قاعد لحد ما تمشي، القهوة دي اللي فيها صوت الشيشة ولعب الطاولة والدومينو. تطلب اللي انت عايزه وانت متأكد إنه هيجيلك.

المعاملة هنا كأنك صاحب مكان وما فيهاش التكتيفة بتاعة الكافيهات ولا الويتر الرخم أبو ضحكة صفرا، الضحكه هنا م القلب والناس كلها بتحب بعضها، عمك دقدق اللي بيحفظ ألف طلب في وقت واحد وما يلخبطش بين الطلبات. تقدر تطلب أكل من أي مطعم وتيجي تاكله هنا، وينزل لك كوباية مية كمان، القهوة دي يا علي متعة. الدوشة والزحمة اللي جواها دي



بتحسسك بالدفا بتاع زمان، اللي ما بقاش موجود دلوقتي، زهر الطاولة.. صوت الست وكل حاجة تحس فيها ريحة الخير.

عرفت بقى ليه قهوة حمودة؟

- عرفت يا عم، المهم بقى قول لي هناكل إيه، أنا جعان ومستني العزومة.

- وانا عند وعدي، شوف تحب تاكل إيه.

كاد علي أن ينطق بما يريد حتى قطع حديثهما طفلٌ صغيرٌ

- مناديل يا عمو!!، عسلية!!، أي حاجة ربنا يخليك

انتبه إياد إلى ذلك الطفل متسخ الهيئة الذي يتحدث إليه، والذي حاول مستميتًا استدراج عطفه ككل الزبائن من أجل أن يشتري منه بعض الحلوى مقابل ثمن زهيد، مستخدمًا بعض عبارات العطف والشفقة التي اعتاد عليها..

و بالرغم من أن إياد يرى يوميًّا مئات الشحاذين، إلا أنه رأى في عين ذلك الطفل شيئًا مختلفًا، ذلك البريق الذي يظهر حين يرى الحلوى، وتلك الانكسارة التي تظهر في عينه حين يرفض أحد الزبائن شراءها منه.

ذلك الطفل الذي كتب عليه أن يبيع حلمه في الحصول على قطعة الحلوى من أجل الحصول على رزقه ورزق من يعول.

لا يعلم لم حرك ذلك الطفل في نفسه شيئًا، هل يرى أنه يشبهه، أم أنه مجرد إحساس بالشفقة، ماذا لو كان ذلك الطفل هو نفسه، فقد هجره








والده منذ سنوات دون أن يعرف عنه شيئًا، ولو كانت والدته هجرته أيضًا، لكان بالطبع سيحل محل ذلك الطفل الذي يقف تحت أقدامه الآن..

انتبه من شروده على صوت صديقه علي، بحث عن الطفل لكنه لم يجده، اختفى في لحظات بعد أن تملكه اليأس من علي وإياد.

- هو فين؟. قال إياد.

- هو مين دا اللي فين؟

- الولد الصغير اللي كان هنا دا، فين؟

- مشي، ما اعرفش فين يعني.

بحث إياد بعينيه في أرجاء المكان دون أن يجده، غادر القهوة سريعًا بعد أقل من نصف ساعة من وصوله، سأل جميع الحاضرين إن كان يعرفه أحد، لكنهم جميعًا أجابوا بالنفي..

حزن كثيرًا لفقدان ذلك الصغير، لعل وجوده كان لحكمة ما لا يعلمها أحد سوى خالقه. لكنه ولد داخله إحساسًا لن ينساه مهما عاش، إحساس الندم لضياع تلك الفرصة من يديه، والسخط على ذلك المجتمع الذي يدفع أطفاله إلى بيع أحلامهم من أجل الحصول على حقهم في الدنيا والحياة وحين يتحول أحدهم إلى مجرم بعدما استطاع قتل كل شعور بداخله، نتكالب عليه مرة أخرى بإساءاتنا ونلفظه من المجتمع الذي كان السبب الأول في إيصاله إلى تلك المكانة..

* * *



عشرون دقيقة تفصلنا عن بداية الحفل، أعلن عقرب الساعات في يد جيسي عن قرب البداية، بدأت بمراجعة النص مرة أخيرة، تأكدت أن عرائسها تعمل بكفائتها، لا يوجد أي خلل في الإضاءة، الموسيقى، إذن فليبدأ الحفل..

مرت دقائق أخرى وهي على ذلك الحال، انسدلت الستارة السوداء الكبيرة لتغطي المسرح، صعدت جيسي إلى المكان المخصص لها وأدلت عرائسها إلى أسفل استعدادًا للبدء..

و من الجانب الآخر، كان باب المسرح قد فتح لاستقبال جمهوره الذي لم يأت فقط من جميع الإسكندرية، بل أيضًا من جميع بقاع الجمهورية قاصدين مسرح سيد درويش لمشاهدة لاعبة عرائس الماريونيت جيسي رأفت.

جلس الجميع في أماكنهم، لحظات مرت في صمت تام وكأن على رؤوسهم الطير، بدأت إضاءة المكان تتقلص تدريجيًا حتى عم الظلام.

سمع الجميع صوت فتح الستار، ثم رأوا ذلك الكشاف أزرق اللون المسلط في منتصف المسرح على إحدى العرائس..

مساء الخير على جمهوري وجمهور مسرح سيد درويش، حد فيكم فكر مرة هو مين؟ حد دور قبل كدا في خبايا نفسه عشان يكتشف حقيقته؟ النهاردا كل واحد هيطلع من هنا ويعيد ترتيب حساباته..

بدأت جيسي كلماتها البسيطة تلك بعد التحية، عادتها في شد انتباه الحضور صوب ما تقدمه، لعلها كانت بتلك الطريقه تحرك أذهانهم مباشرة وتدفع بهم للدخول سريعًا إلى أحداث مسرحيتها الصغيرة..

أنا قاسم، ودا صديقي ضياء، ظهر كشافًا أحمر اللون على عروسة أخرى على المسرح، تم تشغيل الموسيقى المتفق عليها في الخلفية ليبدأ العرض.

قال قاسم: عارف يا ضياء، أنا كل يوم بافكر أنا موجود ليه، عشان أساعدهم وأقول لهم نصايح وأرشدهم لطريق الحق والخير، أنا مالي بيهم أنا عاوز أنبسط وأعيش مبسوط، الحياة قدامي وعاوز استمتع بيها.

رد ضياء: لا يا صديقي انت مش دايمًا بتعمل كدا، انتَ ساعات بتنصحهم بالشر، الخديعة، بتزيف وتزين الأخطاء ليهم، ساعات بتكون استجابة لرغباتهم، بتنفذ وتخطط اللي هما عاوزين يعملوه، كل خططهم الشريرة بتطلع تحت تنفيذك انت.

قاسم: يا سلام قصدك إن أنا إبليس بقى وحضرتك الملاك اللي ما بيغلطش، مش انت اللي بتحرمهم من كل متع الدنيا، كل حاجة تمنعهم منها، انت صعب قوي يا ضياء.

ضياء: لا أنا مش صعب، أنا واقعي، أنا حقاني، أنا عاوز العدل هو اللي يمشي عاوزهم زي ما بيطالبوا بحقوقهم يعملوا واجبتهم، سمعت عن تجربة القلم الرصاص؟

- لا مسمعتش

- طيب أنا هاقولها لك، القلم الرصاص لو كتب حاجة غلط ممكن يمسحها، يعدلها، ممكن يزود عليها ويشيل منها، بس في المقابل سِنُّه بيضعف، بيستهلك، وما بيبقاش قدامك غير إنك تجيب موس وترجع تسن فيه تاني عشان تقوي شفرته، انت بتكسر جزء منه، بتؤلمه عشان ترجَّعه



أقوى، بتحاسبه على إهداره لنفسه عن طريق إنك بتكسر جزء منه، ميزان العدل يا صاحبي..

- لاااا انتَ بقيت متعب قوي يا ضياء، إحنا نروح نسأل عاصم وهو اللي هيحل لنا المشكلة دي..

ظهر ضوء ثالث أبيض اللون على آخر عروسه موجودة بالمسرح

- عاصم، يا عاصم إِصحا عاوزينك

- صباح الخير، في إيه؟ عاوزين مني إيه انتو الاتنين؟ قال عاصم.

- بص يا عاصم، بدأ قاسم في الاقتراب من عاصم فتداخل اللون الأزرق والأبيض في دائرة واحدة كبيرة..

أنا وضياء مختلفين في موضوع كدا، أنا شايف إن الواحد اتخلق عشان يعمل اللي هو عايزه، ما يحرمش نفسه من أي حاجة بيحبها في الدنيا، الدنيا بتتعاش مرة واحدة ولازم الواحد يشبع فيها كل رغباته، بعيدًا عن القيود والقوانين اللي بتخنقنا، الأستاذ ضياء بقى مش شايف كدا.

- طب انت شايف إيه يا ضياء؟؟ قال عاصم.

اقترب ضياء من عاصم لتتداخل دائرتا الضوء الأحمر والأبيض وتجمعهما داخلها.

- أنا شايف إن الحياة هبة من عند ربنا، ما ينفعش نضيعها كلها في الفساد الأخلاقي والانحطاط دا، ما ينفعش نبقى شهوانيين زي ما قاسم بيقول.

سكت عاصم قليلًا، ارتفع صوت الموسيقى المعلن عن الحيرة، ظل عاصم ينظر يمينًا ويسارًا لا يعرف لأي رأي ينحاز، مرت ثوانٍ أخرى حتى صاح عاصم قائلًا.. قاسم معاه حق الحياة متعة ولازم تتعاش مرة واحدة بس.



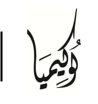
ارتفع صوت ضحكات شريرة في الموسيقى الخلفية، اقترب عاصم من قاسم لتكوين دائرة واحدة، صوت إطلاق رصاص، ضياء ملقًى على الأرض جثة هامدة، حاول عاصم وقاسم الهرب، تعثر عاصم في وسط الطريق، نادى مرارًا وتكرارًا على قاسم الذي لم يحاول أن يمد له يد العون، يصرخ عاصم وحيدًا بكشافه الأبيض في وسط المسرح محاولًا الهروب، لا يدري ماذا يفعل، ها هو قاسم بلونه الأزرق يختفي بعيدًا حتى اختفى من مجال الرؤية، أخذ عاصم يلوم نفسه على سماعه لكلمات ذلك المدعو قاسم، الشهواني الذي لا يملك إلا الضرر، تمنى لو عاد بالزمن قليلًا ليصحح ما فعل ويختار ضياء عوضًا عن قاسم لكن هيهات، فقد انتهى كل شيء.

ظل عاصم على هذا الوضع، مرت ثوان حتى ظهر له ذلك الضوء الأحمر الذي يعرفه جيدًا، إنه ضياء!! ولكن كيف ذلك، ألم يمت أمام عينه، فما الذي حدث؟ إنه لا يفهم شيئًا..

اقترب ضياء من عاصم الذي صاح، انت ما مُتش!!

ضحك ضياء ضحكات صافية تنم عن سذاجة سؤال صديقه وأضاف، أنا ما باموتش يا عاصم، عمري ما أموت، دي حكمة ربنا إني أفضل عايش عشان دايمًا تفضل فاكر طريق الحق، أنا شعاع النور اللي بيظهر في حياة كل واحد عشان يعرفه طريق الخير، أنا النور اللي جواك انت يا عاصم، الميزان اللي ربنا حاطه لكل واحد عشان يفكره دايمًا بالصح والغلط، أنا الضمير..







ارتفع التصفيق في المسرح بالكامل مصحوبًا ببعض الصيحات هنا وهناك، ظل الوضع هكذا قرابة ثلاث دقائق متواصلة. بدأ التصفيق يقل تدريجيًّا حتى سكن مرة أخرى ليستكمل العرض.

سامحني يا ضياء أنا انسقت ورا كلام قاسم المسحور دا فضل ورايا يقنعني إن هو صح وإن انت غلط لحد ما اقتنعت.

قاسم دا هو القلب يا عاصم، الشهوة اللي بتحرك كل واحد جوانا. طول الوقت القلب والضمير بيوجهوك وبينصحوك للصح والغلط وانت اللي عليك تختار. انت العقل يا عاصم العقل اللي بيختار في الآخر بين الشهوة والضمير وأيًّا كان اختيارك فانت في الآخر قلم رصاص وهتتحاسب على غلطاتك في كل وقت واوعى تفكر إن ما فيش حساب، حتى لو اتأخر شوية بس هييجي يوم وتتحاسب على كل اللي فات. عشان لولا الحساب لمات العقل وفسد القلب..

انطفأت أنوار المسرح دفعة واحدة. قام الجمهور بالتصفيق بحرارة تجاوزت المرة الأولى. عادت الإضاءة مرة أخرى لنجد فريق العمل بأكمله على خشبه المسرح، تتوسطهم جيسي التي انحنت نصف انحناءة تحية لجمهورها العظيم الذي كافأها تلك الليلة بذلك الكم الهائل من التصفيق..

انتهى اليوم سريعًا. غادرت جيسي المسرح ملأى بالأمل. غادر الجمهور المسرح وهم في حالة من الاستمتاع التام. في تلك الليلة السعيدة التي لا تتكرر في العمر مرات كثيرة.

* * *







(2)

5 / 5 / 2010

وصل إياد إلى عيادته في تمام السادسة مساءً في ذلك الموعد المقدس بالنسبة له خلال الشهور الثلاثة الماضية، فمنذ افتتاح تلك العيادة التي كانت بمثابة حلم العمر بالنسبة له، لم يتوانَ لحظة عن تقديم العون إلى مرضاه، لم يتأخر ولو لدقائق عن الوقت الذي يخرج فيه من زي المحاضر ويرتدي ثياب الطبيب النفسي الساعي دومًا لخدمة مرضاه دون الالتفات للأجر المادي.

فقد كان هدفه السامي هو محاربة استغلال بعض المشعوذين ومدعي الرؤية، أو جشع تلك الفئة القليلة من الأطباء الذين يرون المرضى النفسيين – والذي يعتبر أغلبهم من الفئة ميسورة الحال – على أنهم سلعة تجارية تصلح فقط لإشباع أطماعهم المادية.

بدأ إياد رحلته اليومية في متابعة ملفات المرضى، يراجع الملفات القديمة ليدرس تطور الحالات، ينظر بعين متفحصة إلى الحالات الجديدة ليحدد موقفه من صاحب الحالة، هل سيقبله مريض يستحق الشفقه، أم أنه مجرد مضطرب لحظي كأغلبية الشباب في مرحلة المراهقة، تلك الحالات



التي كان يفضل دمجهم في جلسة علاج جماعية كنوع من أنواع العلاج لتلك الحالات النفسية المؤقتة.

بدأ يفتش في الملفات دون اهتمام، حتى وقعت عيناه على ذلك الملف الصغير الملقى على هوامش المكتب، والذي رأى أن مساعدته الخاصة أعطته علامة مميزة، كدليل على أهمية ما يحويه ذلك الملف من معلومات، سحب الملف ووضعه أمامه بعد أن أزاح جميع الملفات جانبًا وبدأ القراءة.

كان الملف يحتوي صورة لشاب في بداية العشرينات، يبدو من ملامح وجهه أنه ميسور الحال كأغلب مرضاه، لكن شيئًا غريبًا بدا في ملامح ذلك الشاب، هل كان الشحوب أسفل عينيه هو السبب؟!

وضع الصورة جانبًا وأمسك بالصفحة التقديمية للحالة والتي زينها في البدايه اسم " إسلام مندور "

انهمك إياد في قراءة الملف، لم يشعر بمضي ساعة من الوقت دون أن يتحرك لحظة واحدة على غير عادته، كان منهمكًا تمامًا في ذلك الملف الغريب حتى استفاق على صوت صديقه علي.

- إيه يا ابني قافل تليفونك ليه؟. قال علي.

- مش قافله ولا حاجة ما هو مفتوح أهو.

- أومال أنا باكلمك من الصبح بيقول لي إنك خارج نطاق الخدمة ليه؟

- مش عارف تقريبًا في مشكلة في الخط، هاروح الشركة بعد ما اخلص واشوف في إيه







- طيب انت كويس؟؟

- مش عارف.

- أنا برضه شايف كدا، من أول ما دخلت عليك وانت ماسك الملف دا

- ملف غريب قوي يا على، حالة فريدة وما باشوفهاش كتير

- طيب احكِيلي يلا..

بدأ إياد بسرد تفاصيل ذلك الملف الغامض لصديقه علي، عادته التي لا يريد تغييرها أبدًا، فإنه ما إن يصل إلى حالة معقدة حتى يستشير صديقه علي والذي كان دائمًا نعم المشير..

- أيوة يا إياد، فعلًا حاجة غريبة جدًّا، قال علي فور انتهاء إياد وأضاف:

يعني إسلام دا حب البنت اللي اسمها هند، ودخل في جماعة الإيمو دول ولا عَبَدَة الشيطان بناء على طلب منها، واكتشف إن هند ما بتحبوش وانها كانت بس بتستغله وبتستغل فلوسه عشان خاطر الإيمو دول ، شاف صاحبه بيموت قدامه بجرعة هيروين، قرر إنه يتعالج!!

- مش كدا بالظبط يا علي، قال إياد.

- إسلام كان طول الوقت متردد، جايز من جواه ما كانش مقتنع باللي هو بيعمله، بس عمله تحت تأثير حبه لهند دي، فجأة اكتشف إن البنت اللي غيرت حياته دي كانت بتضحك عليه، وصاحبه توفيق دا كمان مات قدام عينه، دا عمل له زي حالة صدمة بس في حالة إسلام الصدمة كانت



عكسية صدمته خلَّتُه يفوق من المتاهة اللي هو كان حاسس طول الوقت إنه جواها وخد القرار..

- طب تفتكر هو طلع من الجماعة دي ازاي، يعني هو قال لهم أنا عاوز أطلع كدا طلعوه؟

- أكيد لا يا علي، ودا اللي مخليني متحمس إني أشوفه واسمع منه أكتر.

- طيب كويس قوي، يعني هتقبل حالته.

- انت شايف إني ممكن أعمل غير كدا؟

- لا ومأيدك كمان في القرار، صحيح أنا نسيت أنا كنت باكلمك ليه، عندنا فرح يوم الخميس الجاي، أحمد زين كلمني وقال لي إني لازم أعزمك لأن موبايلك مقفول طول الوقت.

- يا علي ما انت عارف إني ماليش في الأفراح.

- أنا مش فاهم انت إيه سبب رفضك لفكرة الفرح دايمًا.

- بص انت تيجي توصلني أروح الشركة عشان يشوفوا لي مشكلة الخط دا واحكي لك واحنا في الطريق بقى..

- طيب يلا..

غادر إياد وعلي المكتب في طريقهما إلى السيارة والتي ما إن استقلاها حتى بدأ علي بتكرار الأسئلة..

- قول لي بقى يا إياد ما بتحبش الأفراح ليه، انت ليه نكد؟ قال علي.





- بص يا علي، الفرح عمومًا اختراع فاشل، يعني إيه واحد عاوز يحتفل بعروسته إنه يصرف المبالغ الرهيبة دي على ساعات في العمر وتعدي، الفلوس دي ممكن يلف بيها العالم مع مراته في شهر العسل..

ليه يعمل فرح عشان أم العروسة تضايق من أم العريس وتبدأ الخناقات المعتادة اللي بنشوفها في كل فرح..

الفرح يا علي عكس العزا، العزا دايمًا فيه مشاعر واحدة اللي هي الحزن، أما الفرح بقى فيه حاجات حلوة صحيح زي صاحبك اللي بيقف جنبك طول الفرح، نظرة بابا العروسة لبنته اللي بتبقى مليانة حنان وحب، ضحكة صافية من قلب واحد أو اتنين من المعازيم اللي فرحانين بجد.

بس قصاد كدا بقى بتلاقي غيرة وحقد على العروسة من أغلب البنات حتى لو متجوزين، اختلافات وخناقات طول الفرح على أسباب تافهة زي مثلًا إن ازاي البوفيه يبدأ من عند أهل العريس..

تخيل انت يا علي إن فرحك يبوظ عشان البوفيه بدأ من عند أهلك.

ابتسم علي لتلك اللافتة غريبة الأطوار التي ألقاها إياد للتو.

لا مش كدا وبس، لازم تلاقي البنت اللي مامتها ماسكاها طول الفرح بتقول لها دوري على عريس، مع إن النصيب عمره ما كان في الأفراح، النصيب دا بتاع ربنا، شوف يا علي مهما كان الفرح باين لك من برَّا إنه كويس، اتأكد إن كل اللي برا دا غطاء هلامي لحاجات كتير إحنا مش شايفينها جوا، والدليل إن مافيش فرح اتعمل لحد الآن ما حصلش فيه مشكلة واتنين.



كانا قد وصلا إلى المكان المقصود حين انتهى إياد من حديثه، أوقف علي السيارة أمام البوابة الرئيسية ووجه كلامه إلى إياد قائلًا:

- بص يا عم إياد انت بصراحة فلسفتك غريبة وانا مش مقتنع بيها قوي، بس امَّا نقعد سوا ممكن نتكلم واحاول أقنعك.

- ماشي، انت هتروح ولا إيه؟

- آه عشان أنا برَّا طول اليوم وتعبان جدًّا، أشوفك بكرة بقى.

- ماشي يا لولو سلام.

- سلام.

* * *

كانت جيسي في ذلك الوقت في منزلها تستعد لعرضها الجديد بعد يومين، كانت منهمكة للغاية في إعداد نصًّا مسرحيًّا مختلفًا لتفاجئ به جمهورها، خصوصًا وأن عرضها الأخير قد حقق نجاحًا بالغًا مما يتطلب منها تقديم عرضًا أفضل في المرة القادمة.

كانت منشغلة تمامًا في نصِّها حين دخلت عليها صديقتها يوستينا، والتي غادرت المنزل منذ قليل لإحضار وجبة الغداء وعادت للتو.

- إيه يا جيسي خلصتِ النص؟ قالت يوستينا.

- آه فاضل بس أراجع على شوية حاجات.

- طب يلا قبل ما الأكل يبرد.

- لا يا يوسي كلي اِنتِ أنا مش جعانة.





- يعني إيه مش جعانة؟ اِنتِ ما أكلتيش حاجة من امبارِح!

- ماليش نفس والله يا يوستينا.

- يا بنتي ما كانش بنطلون جينز دا اللي يخليكِ تعملي في نفسك كدا؟ قالت يوستينا ساخرة.

- لا والله مش البنطلون خالص.

- اِنتِ هتخبي عليَّ؟! تنكري إن من يوم ما الجينز ما قفلش عليكِ وانتِ مش عاوزة تاكلي، قولي بقى إنك بتعملي دايت.

- طيب أنا هاكل أهو عشان تشيلي الأفكار الغريبة دي من راسك.

- أيوة كدا دا انا جايبالك بيتزا سي فود ما حصلتش..

بدأت جيسي ويوستينا بتناول الطعام، تحدثتا قليلًا عن مسرحيتهما القادمة التي استعانت فيها جيسي بصديقتها يوستينا كما المعتاد ثم انتقلتا للحديث عن الجامعة واقتراب موعد امتحانات نهاية العام ثم انتقلتنا للحديث عن ميعاد زفاف يوستينا.

- خلاص يا جيسي الامتحانات السنادي تخلص وهنعمل نص إكليل.

- طيب اتفقتوع الميعاد ولا لسَّا؟!

- آه إن شاء الله نص إكليل بعد النتيجة وإكليل في آخر السنة غالبًا ليلة راس السنة.

- مبروك يا أحلى عروسة في اسكندرية، على قد ما انا فرحانة إن ربنا أخيرًا حقق لك حلم حياتك وهتتجوزي اِنتِ وملاك، على قد ما انا زعلانة إنك هتسيبسني وتمشي.







- لا يا حبيبتي مافيش الكلام دا، أنا هاجي اقعد عندك وهو يقعد عند مامته، هو يطلع من الكنيسة وانا هاجي على هنا تاني.

ارتفع صوت الضحكات بين الفتاتين بعد ذلك الحديث الودي، انتهتا سريعًا من تناول الطعام الذي بالكاد تذوقته جيسي وغادرت يوستينا الغرفة لإجراء مكالمة هاتفية..

- إزيك يا ملاك، وحشتني.

كانت يوستينا في حالة اندماج تام مع حبيبها ملاك، دار الحديث بينهما بصورة طبيعية، اطمأنت سريعًا عليه وعلى الأسرة وبالطبع لم تخلُ المكالمة من عبارات الغزل التي كانت كمفعول السحر على قلب يوستينا..

دقائق أخرى مضت على هذا الحال حتى سمعت يوستينا صرخات جيسي.

- طيب يا ملاك هاكلمك تاني، سلام دلوقت.

انتقلت يوستينا سريعًا إلى غرفة جيسي لتجد صديقتها ملقاة على الأرض وصوت صياحها يبدد طبقات الصمت..

- في إيه يا جيسي؟ صاحت يوستينا.

- مش قادره باموووت، الحقيني يا يوستينا، آه، آه، آآآآآآآاه

مرت ثوانٍ أخرى ويوستينا لا تعرف ماذا تفعل، تنظر لجيسي التي اعتصرها الألم وملأ جوانبها حتى فقدت الوعي!!

* * *







دخل إياد مقر الشركة بنصف عقل، ذهنه يعمل بسرعة خرافية لاستنتاج بعض الحقائق والأحداث عن ذلك المدعو إسلام، حالة غريبة من نوعها يقابلها إياد للمرة الأولى، حالة تستحق الفحص والتنقيب داخلها عن الكثير من الحقائق والأسرار.

انتبه إسلام لصوت ذلك الموظف الماثل أمامه، والذي يسأله بمنتهى اللطف عن سبب الزيارة، أعطاه الموظف ورقة تحمل رقمًا لينتظر دوره أمام شباك الاستعلامات.

ثوان أخرى مرت حتى وقعت عينه عليها للمرة الأولى، تلك الفتاة الساحرة ذات الشعر الكستنائي المموج والعيون الزرقاء فتاة قد تشبه زميلاتها في مظهرها الخارجي، لكنها ولسبب ما لا يعرفه جذبته نحوها بطريقة ساحرة، كما يجذب الرحيق أسراب النحل.

كانت تتنقل بين المكاتب وبعضها البعض حاملة ذلك الكم الهائل من الأوراق في يديها، لا يعلم لم أراد أن يتحدث إليها قليلًا، يأخذ خلسة في حضرتها يستمتع فيها بتلك الهالة المحيطة بها، لا يدري لم لأول مرة منذ سنوات يشعر بذلك النبض الهائج في قلبه، تلك النبضات التي يعلمها جيدًا والمعلنة عن حب جديد.

خرج من شروده استجابةً للصوت الأنثوي الذي أعلن مجيء دوره في شباك الاستعلامات، تلك اللحظة التي تمناها في أول وصوله وتمنى لاحقًا ألا تأتي أبدًا، لا يعلم ماذا يفعل الآن، هل ينسحب كطفل أحمق ويذهب إليها ببلاهة الأطفال؟! لكن ماذا سيقول؟! وكيف ستأتيه الجرأة ليتغزل في هاتين






العينين الزرقاوين شبهتا قطع الكريستال، هل ما زال يتذكر كلمات الغزل التي نسيها منذ سنوات؟ لا يملك حلًّا، وعقله الآن يرفض الاستجابة لمطالب قلبه ويدفعه للتغاضي عن تلك الأفعال الصبيانية..

ذهب إياد إلى الشباك بخطوات واثقة، تتناسب كثيرًا مع وضعه كمحاضر جامعي وطبيب نفسي. وضع أحاسيسه وقلبه جانبًا ورجح استخدام العقل.

عرض مشكلته سريعًا على تلك الشقراء التي يجلس معها الآن، طلبت منه بعض البيانات وصورة لبطاقة إثبات الشخصيهة..

- طيب أنا مش معايا صورة بطاقة، قال إياد.

- خلاص مافيش مشكلة يا افندم، هات البطاقة واحنا نصورها، قالت الفتاة وأضافت:

عم محمد، ماعلش إدي البطاقة دي للباشمهندسة  يسرا وخليها تراجع البيانات بتاعتها وتصورها.

اتجه إياد ببصره إلى عم محمد الذي وقف للتو مع تلك الفتاة التي حركت قلب إياد تجاهها، ذهب إياد إلى تلك الفتاة هذه المرة دون أن يفكر، فالقدر قد أعطاه الآن الفرصة التي أرادها ليتحدث قليلًا معها..

- باشمهندسة يسرا؟؟  قال إياد.

- أيوة يا افندم، خير

- أنا إياد الملواني صاحب البطاقة.







- أهلاً بحضرتك، حضرتك ممكن تتفضل وانا هاخلص البيانات واحل المشكلة واجيب لحضرتك البطاقة

- أيوة بس كان عندي استفسار تاني.

- أقدر أساعد حضرتك إزاي.. ماعلش ثواني

اعتذرت يسرا من إياد لتجيب على هاتفها، تمنى لو نظر إليها كثيرًا دون أن يتحدث، يراقب تلك الرموش العريضة التي تغازل جفونها برقصاتها المثيرة لأعلى وأسفل، تمنى لو وقف الزمن كثيرًا على هذا الحال ليحصل على أكبر قدر من الراحة النفسية في وجودها..

طيب يا حبيبي أنا في الشغل، روح ع البيت انت وكلمني.

وقعت تلك الجملة الأخيرة على أذنيه وقع الصاعقة، لم لم يتخيل أن حورية البحر تلك ليست في انتظار فارس مثله ليخطفها على جواد أبيض وهناك المئات من العاشقين غيره سيفكرون في خطفها..

اعتذرت منه واعتذر منها، غادر سريعًا الشركة، بعد أن حصل على بطاقته لكنه ترك شيئين، أولهما مشاعر حُطمت بالكامل بعد أن كانت قد زرعت بمياه الأمل.

وأيضًا هاتفه المحمول الذي نسيه للتو على مكتب يسرا!!

* * *



أفاقت جيسي من غيبوبتها لا تدري ما الذي حدث، تشعر بخدر رهيب يسري في جسدها وعقلها، تلك الأنابيب الطبية المعلقة في ذراعها، ذلك الصوت الصادر من جهاز ما بجانبها والذي جعلها تدرك أنها بالتأكيد على أحد الأسرة في مستشفى ما..

- حمد الله ع السلامة يا حبيبتي.

التفت جيسي لمصدر ذلك الصوت لتجد صديقتها يوستينا تجلس على أحد الكراسي بجوار سريرها

- هو إيه اللي حصل يا يوستينا، أنا آخر حاجة فاكراها إنك قلتِ لي إنك طالعة تكلمي ملاك، بعديها بقى مش فاكرة ايه اللي حصل، أنا هنا من إمتى؟

- بقالك 24 ساعة هنا، أول ما أغمى عليكِ كلمت بابا وجبناكِ هنا، الدكتور بيقول إن جالك هبوط في الدورة الدموية بسبب سوء التغذية، حمد الله ع السلامة يا جيسي..

- الله يسلمك، بس انا حاسة إني كويسة دلوقتي وممكن أخرج.

- يا حبيبتي بلاش تتعبي نفسك، خلينا هنا شوية وبعد كدا لما ترتاحي هنخرج.

- طيب الدكتور فين؟ عاوزة أسأله على حاجة.

- الدكتور دلوقتي بيشوف نتيجة الأشعة والتحاليل اللي عملنها لك، وإن شاء الله خير، أكيد القولون تاعبك شوية مش فاكرة جارتنا العجوزة اللي شافتك من فترة وقالت إن القولون عندك ملتهب.





ظلت جيسي على ذلك الوضع قرابة ساعتين، تنتظر حضور طبيبها المعالج، حضر الطبيب وحضر معه الأمل بالنسبة لجيسي - أو كانت تعتقد ذلك - فلا تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي السفن..

نظر الطبيب لجيسي النائمة على سريها نظرات لا تخلو من الأسى ثم قال:

- حمد الله على سلامتك والحمد لله إن ربنا قدَّر ولطف، بخصوص الأشعة والتحاليل اللي عملناها الجسم كله سليم وما فيهوش مشاكل..

- يعني القولون مش تعبان؟! أُمال المشكلة فين يا دكتور؟ قالت يوستينا.

- المشكلة في الدم، عملنا تحاليل مرة واتنين لعينة الدم واتضح لينا التالي:

بدأ الطبيب بقراءة النشرة الطبية الخاصة بجيسي.

- لوكيميا، قالها الطبيب لجيسي التي لم تفهم ماذا يقصد.

- يعني إيه لوكيميا دي يا دكتور؟ قالت يوستينا.

- لوكيميا دي يعني كانسر في الدم و.......

وقعت الكلمة على جيسي وقع الصاعقة، لم تعد تدرك شيئًا حولها، تنظر للطبيب الذي استمر بالحديث ولا تسمع شيئًا مما يقول، ترى الحركة بين شفتيه دون أن تدرك الكلمات عقلها، فهل هذا يعقل؟

هل كانت حقًّا مصابة بسرطان الدم، إن مشكلتها الأساسية كانت تكمن في بنطالها الذي لم يعد يغلق على جسدها فهل هي حقًّا مصابة بذلك المرض؟!

لا تدري ما الذي حدث بعدها، لم تشعر إلا بصديقتها وهي تجذبها لكي تغادرا ذلك المكان الكئيب الذي كان ميلادًا لكابوسٍ أسود في عقل جيسي..



وصلتا معًا إلى المنزل دون أن تشعر بالوقت، لم تعد تشعر بأي شيء سوى بالظلام يحيط بها من جميع الجهات..

كانت تمضي وقتها بالكامل في الشرفة، تحدث ربها بما يجول بخاطرها، يرتفع صوتها قليلًا وهي تلعن حظها البائس في الحياة، وتعود لتضحك مرة أخرى بهيستيريا واضحة، وقد كان يتكرر في عقلها ذات السؤال يوميًّا، لِمَ؟!

لِمَ هي تحديدًا لِمَ اختارها هي عن باقي البشر لكي تحمل ذلك المرض اللعين، وكيف أصيبت به، إنها رياضية من المقام الأول، ولا يوجد في نظامها الغذائي ما قد يعرضها للإصابة بمثل ذلك المرض، إذن لِمَ الآن؟

مرت أيامها على ذلك الحال دون تغيير، باءت محاولات صديقتها للتخفيف عنها بالفشل، كانت تمضي أيامها بشكل متكرر بين الطبيب والجامعة وشرفتها، راودتها فكرة الانتحار لكنها كانت تطردها سريعًا فلعل المكسب الوحيد الذي جاءها من ذلك المرض اللعين هو تحسن علاقتها بربها.

أخذت الأيام تمر تباعًا دون تحسن كبير، أيام متشابهة لدرجة كبيرة، وجيسي ترفض أن تخبر أحدًا بمرضها حتى أهلها، قررت أن تحارب وحدها أو بصحبة رفيقتها الوحيدة يوستينا، لن تدع خيوط اليأس داخلها تقتل أضواء الأمل، فهي تملك الآن ثقة كبيرة بربها، ستتعايش مع المرض على أنه لا شيء، لن تسمح لروح النضال داخلها بقتل عزيمتها، هي من وقفت منذ سنوات أمام أهلها لتأتي إلى مصر، فإنها قادرة الآن على محاربة المرض وحدها، ستستمر في جلسات العلاج ولن تتخلى عن الأمل الموجود في ذلك الدواء الذي أصبح







رفيق دربها، لن تستسلم للمرض أبدًا فقد كان شعارها الذي ستستخدمه طوال فترة علاجها.

أنا ربما أملك السرطان لكن السرطان لن يملكني أبدًا

**I Have A Cancer But Cancer Does not Have Me**

* * *

خرجت يسرا من الشركة بعد انتهاء فترة عملها، تحمل هاتف ذلك العميل الذي نسيه للتو في مكتبها، أخذت سيارتها وقررت ألا تذهب للمنزل الآن، تريد أن تختلي بنفسها قليلًا بعيدًا عن أهلها كعادتها حين تفكر في أمر ما.

حسمت أمرها سريعًا وقررت الذهاب إلى مكانها المفضل " لونلينس " ، ذلك المكان الفريد من نوعه في القاهرة، يذهب إليه الأشخاص مفضلو العزلة من جميع النواحي، يستمتعون بالجلوس بمفردهم دون الشعور بأزواج العيون المراقبة لهم كما يحدث في الأماكن التقليدية..

لعل الشيء المميز في ذلك المكان غير أنه متكامل فعليًّا، كانت ليلة الإثنين، ليلة يعرفها الجميع في ذلك المكان وينتظرها، بمجرد حضورك يتم منحك ورقة صغيرة تحمل رقمًا ما، وفي تمام الساعة العاشرة يتم عمل سحب عشوائي للحضور في دعوة للجلوس مع شخصٍ لا تعرفه مطلقًا ويدور بينكما حديثٌ مفتوح في مختلف المجالات، يقدم لك المكان مشروبًا ساخنًا كهدية لتلك الصداقة الجديدة التي قد تكون صداقة لحظية وقد تكون دائمة، لكنها في جميع الأحوال ستكون علامة مميزة وفارقة في حياتك أن



تقابل شخصا يشبهك من الداخل أيًّا كانت ملامحه الخارجية بالطبع هو شيء مميز.

لا توجد اشتراطات للدعوة، لا يوجد قيود، قد تجلس مع من هو أكبر منك أو أصغر، من نفس الجنس أو من الجنس الآخر، قوانين يعرفها الجميع ويلتزم بها دون عقود، فيتحول الأمر في النهاية إلى صداقة بين شاب وفتاة شعر كل منهما بأهمية الآخر في حياته ورأى كل منهما صورة الآخر بداخله وبدأت قصتهم السعيدة من قلب الوحدة.

حكايات كثيرة شيقة تجمع الجميع هنا، الجميع يعرف وجوه الحضور حتى ولو لم يكن يعرف الأسماء وبدايات كثيرة لتجارب مختلفة بدأت في ذلك المكان، وحتى لو انكسرت أشواك الوحدة بداخلك بعد إحدى التجارب، سيظل " لونلينس " هو السبب في ذلك وستظل مدينًا له طول العمر، وسيظل مكانك داخل المكان محفوظًا ينتظر عودتك في أي وقت.

وصلت يسرا إلى ذلك المكان وآلاف الأسئلة تتحرك داخل عقلها، فقد كان الخيار صعبًا للغاية، أما أن تتخلى عن عملها الذي تعشقه من أجل زيجة مناسبة من وجهة نظر والدها، أو أن ترفض ذلك العريس الذي لا يمتلك عيبا واحدًا على حد قوله..

كان الخيار صعبًا، فكيف وقد أصبحت الفتاة ذات الخمس وعشرين عامًا ولم توافق على عريس واحدٍ حتى الآن، ذلك الأمر المريب الذي يثير القلق في نفس والدها، والذي وضعها الآن في خانة لاختيار الصعب بين أمرين أحلاهما مر.

أن ترفض العريس المقدم وتزداد مخاوف والدها وشكوكه أكثر وأكثر، أو أن تقبل أن تكون مثل والدتها التي فعلت الأمر نفسه سابقًا وتلقى نفس المصير.

مرت أمها بنفس التجربة تقريبًا، تزوجت من والدها الذي كان مناسبًا أيضًا وقتها، زواجًا يحفظ لاسمي عائلتيهما سليلتي الشرف تلك المكانة المرموقة وذلك النسل المبارك..

لم تمر السنة الأولى على زواجهما حتى اكتشفت حقيقة خطئها وبدأت في دفع ثمن جريمتها التي لم تدركها وقتها، فلم يكن نبيل والد يسرا ذلك الشخص المناسب الذي تزوجته يومًا، لم يكن أبدًا مثاليًّا، سقطت أقنعته الوردية لتظهر الأوجه الوقحة التي لم يستطع إخفاءها ، نبيل منصور رجل الأعمال الشهير والاقتصادي المخضرم أعلن أنه ينوي الزواج مجددًا من امرأة عشقها، وأعلن لزوجته أنها لم تكن إلا صفقة ناجحة أراد تحقيقها يومًا فزواجه بها كان من أجل مصالح شخصية له ولأسرته، وأنه مستعد لإنهاء تلك الصفقة فورًا.

كانت والدتها ستقرر الانفصال، حتى جاء الحدث السماوي المنتظر، فبعد أشهر قليلة من المفاوضات بين الزوجين، جاءت يسرا إلى الدنيا بمفاتيح الأمل..

أعرب نبيل وقتها عن آسفة لزوجته وأنه سيطرد تلك الأفكار الشيطانية التي كانت تراوده وأنه سيعمل جاهدًا لتوفير حياة كريمة لعائلته الصغيرة..

خمس سنوات أخرى مضت في ذلك الهدوء ، حتى فجر نبيل مفاجأته وأعلن عن عروسه القادم وموعد الزفاف.






لم تتحمل والدتها تلك الصدمة وطلبت الانفصال، عامين عاشتهما طريحة الفراش إثر إصابتها بمرض القلب ثم قابلت وجه كريم بعد أن ساءت أحوالها في الأيام الأخيرة وانتقلت إلى الرفيق الأعلى تاركة خلفها طفلتها ذات السبع سنوات التي انتقلت للعيش مرة أخرى مع والدها وزوجته وأختها الصغيرة من تلك الزوجه " غادة " التي لم يتجاوز عمرها بضعة أشهر.

طردت يسرا شبح الماضي الذي يطاردها دومًا، نادت على النادل الذي كان يعرفها وطلبت كوبًا من القهوة، أخرجت هاتف العميل من حقيبتها علها تجد شيئًا تستطيع من خلاله الوصول إليه وهنا كانت المفاجأة!!

* * *

بدأت جيسي رحلة علاجها مع مرض طويل لا تعلم متى سيغادر جسدها، لكنها تعلم أنه سيغادر.. ستحارب المرض حتى تهزمه ولن تدع اليأس يتملك من عزيمتها القوية، فلم تغير شيئًا من روتينها المعتاد ولم تتخل عن المسرح الذي كان جزءًا من روحها، بل أنها زادت عدد حفلاتها للضعف وبدأت في كتابة نصوص جديدة أكثر نجاحًا وأكثر جرأة، ولعل التغيرفي حياتها كانت زيارتها الأسبوعية المؤلمة للطبيب، التي تتلقى فيها جرعتها من العلاج والذي كان يتمثل في حقنة نخاع تأخذها بعيادة الطبيب بالدور السابع بأحد العقارات ويصل صياحها لزوار العقار بالدور الأرضي..

كانت كلما ازدادت فترة علاجها، ازدادت ألمًا وأملًا، فالألم العضوي كانت يزيدها أملًا في الشفاء بعلاقة طردية عجيبة، تعتقد أن الألم العضوي وسيلتها للاستشفاء وبالتالي لم يزدها إلا أملًا في النجاة والتخلص من تلك ا








لأورام الخبيثة المحمولة - وتتحرك غصبا - في دمائها..

لم تتحدث مع أحد بشأن مرضها، ولا حتى أبويها.. اكتفت فقط بصديقتها يوستينا التي لم تتخل عنها يومًا، والتي كانت تبث الأمل باستمرار في نفس صديقتها وتصحبها باستمرار لزيارة الطبيب..

كانت الفتاتان تجلسان سويًّا في انتظار ملاك.. أمسكت يوستينا هاتفها وطلبت رقمه:

صباح الخير يا ملاك، بدأت يوستينا حديثها في الهاتف.

و انت كمان وحشتني والله..

آه أنا وجيسي جاهزين..

طيب يا حبيبي ما تتأخرش احنا خمس دقايق وهننزل.. باي

كانت جيسي ويوستينا على موعد مع الطبيب الخاص بجيسي ومنه سيتجهون مباشرة لشراء بعض لوازم الزفاف وبعض متطلبات المنزل، فطلبت يوستينا من زوجها المستقبلي ملاك أن يقوم بإيصالهما إلى الطبيب، لكنها بالطبع لم تعلن عن السبب الحقيقي للزيارة وأخبرته أنها فقط تريد الاطمئنان على صحة صديقتها جيسي المصابة بالقولون العصبي كما أخبرها بعض الأطباء سابقًا..

غادرت الفتاتان المنزل، قام ملاك بإيصالهما لتبدأ رحلتهم الأسبوعية التي تخشاها جيسي دومًا وتتمنى لو ينتهي العالم قبل أن تصل للطبيب ولكن ما باليد حيلة..

* * *



غادر إياد مقر الشركة ولم يغادره!! فقد خرج من الشركة بجسده فقط تاركًا قلبه وعقله يرفضان أن يتخليا عن تلك الهالة التي أحاطت بهما في حضرتها، تلك الفتاة الساحرة التي خطفت قلب إياد من الوهلة الأولى، تمنى لو كانت عزباء، كان سيفعل المستحيل من أجلها، سيخبرها كم هي جميلة بحق، كيف استقرت في قلب ذلك الشاب الثلاثيني الذي كان يقتنع بعد تجربة قاسية مر بها بأنه لا يوجد في الحياة فتاة تستحق أن تستحوذ على قلبه مرة أخرى، سيخبرها أنها فعلت به ما لم تستطع أي فتاة أخرى أن تفعله، وأن دقائق مرت بجوارها كانت كفيلة ليتأكد أن قلبه الذي توقف عن ضخ المشاعر منذ سنوات ما زال يعمل بكفاءته..

اتجه مباشرة صوب منزله وعقله يرفض استيعاب الفكرة، لِمَ يعانده القدر دائمًا ويرفض أن يعطيه ما يشاء؟، إنه تحمل ويلات القدر مرات ومرات دون أن يشكو، فلم يبخل القدر عليه بتلك الفتاة التي تمناها؟؟

دخل إياد إلى غرفته دون أن يلقي التحية على والدته، أغلق الباب واستعان بصديقه المقرب، أمسك تلك القطعة البلاستيكية المسماة بال " بيك " الصغيرة التي تغازل الأوتار فتخرج ما بداخل إياد من طاقة وبدأ العزف..

لم يعزف لحنًا كاملًا أو منتظمًا، فقط بعض الأصوات الغريبة المتقطعة التي أخرج فيها تلك الشحنة الكبيرة الموجودة داخله..

مرت دقائق أخرى على هذا الحال حتى فاجأه صديقه علي الذي دخل الغرفة للتو على غير عادته..







- إيه يا إياد ما بتردش على التليفون ليه؟ كلمتك عشرين مرة ما بتردش وطنط ما كانتش عارفة انت فين وأول ما انت جيت كلمتني، أنا قلقت عليك قوي..

- أنا بخير والله مافيش حاجة ما سمعتوش بس جايز، هو فين؟

- هو إيه إلى فين؟

- تليفوني مش لاقي.... تصدق أنا نسيت تليفوني في الشركة؟

ظهرت على إياد ملامح القلق وقال:

- رن عليَّ تاني كدا يا علي جايز حد يرد..

أمسك علي هاتفه وطلب الرقم، ثوانٍ حتى جاءه الرد من صوت أنثوي فأعطى الهاتف لصديقه:

أيوة مساء الخير، ماعلش أنا نسيت تليفوني في الشركة.. آه مع حضرتك.. طيب ممكن آجي آخده إمتى!!.. طيب تمام هاجي لحضرتك حالًا.. آه عارفه كويس.. متشكر جدًّا لحضرتك.

- خير يا إياد في إيه؟ قال علي.

- تليفوني مع موظفة من الشركة وهاروح آخده منها في كافيه لونلينس.

- طيب يلا أوصلك قبل ما اروح عشان طبعًا ما لحقتش أنام، منك لله، قال علي ضاحكًا.

غادر علي وإياد إلى العنوان المقصود، طلب إياد رقمه ليخبرها أنه وصل إلى المكان ولا يعرفها، أخبرته برقم الطاولة التي تجلس عليها وأنها في انتظاره..



- خلاص يا على روح انت لو عاوز وانا هاخش أجيبه

- طيب ماشي، أشوفك بكرة بقى عشان تحكي لي هتعمل إيه مع إسلام دا.

- تصدق نسيت خالص، موضوع الموبايل دا بوظ لي الدنيا، خلاص ماشي أشوفك بكرة وهاحكي لك أكيد..

دخل إياد إلى المكان باحثًا عنها، وقعت عينه عليها مرة أخرى، لا يصدق هل كانت حقيقة أم خيال، لم يعد يتأكد من صحة قواه العقلية بعدما رآها أول مرة، اقترب منها وتأكد أنه نفس رقم الطاولة، إذن إنها هي حقًّا، هل جاءته فرصة عوضًا عن تلك التي أضاعها؟ أم أن القدر استجاب لنداءاته وقرر أخيرًا أن يحنو عليه؟

- مساء الخير يا أستاذ إياد، قالت يسرا بصوتها الهادئ لتشعل قلب إياد.

- أنا آسفة جدًّا إني ما سمعتش الموبايل أصله كان سايلنت، وما عرفتش أفتحه عشان أجيب الرقم وأكلم حضرتك، بجد آسفة مرة تانية؟

- لا على إيه يا باشمهندسة حصل خير، وبعدين مش جايز دي فرصة عشان أشوف حضرتك تاني..

قال الأخيرة تلك بلا وعي، خرجت من قلبه مباشرة دون تفكير، تلقتها يسرا بابتسامة بسيطة دون تعقيب..

دقت عقارب الساعة معلنة عن العاشرة مساءً، ظلت الأصوات ترتفع قرب الدقيقة من تلك الساعة الكبيرة في وسط المكان، وقعت عينه على يسرا ليجدها في حالة من الضيق إثر تلك الأصوات، والتي أدرك بخبرة الطبيب







النفسي أنه مرض ما يتملكها وبالتالي جاءته الفرصة ليسرق من الزمن دقائق أخرى للحديث معها..

- مسيوفونيا، قال إياد مستهجنًا.

لم تدرك ماذا تعني تلك الكلمة فسألته عن معناها

- مسيوفونيا، متلازمة حساسية الصوت الانتقالي.

- لم تدرك أيضًا ماذا تعني فقالت باسمة: ما فهمتش أول كلمة تقوم تقولي كل دا؟!

- المسيوفونيا دا نوع من أنواع الاضطراب العصبي، لما حد بيسمع صوت معين زي صوت بندول الساعة أو حركة القطر، ودا بيخليه متعصب أو مضايق والموضوع بيتكرر كل ما بيسمع الأصوات دي ودا غالبًا بييجي للإنسان بسبب حادثة قديمة في حياته أو ماضي هو مش عاوز يفتكره..

- أنا مش عارفة والله وما حدش قال لي الموضوع دا، بس بما إنك دكتور نفسي فانت أكيد أدرى مني..

- عرفتي ازاي إن أنا دكتور؟ قال إياد مستهجنًا.

- انت ناسي إن انا اللي مصورالك بطاقتك يا دكتور.

- آه صح، ابتسم إياد من تلك الملحوظة التي لم يلتفت لها.

مر الوقت بينهما سريعًا دون أن يشعرا، تحدثا في مواضيع مختلفة لكل منهما، حدث بينهما نوع من الإعجاب المتبادل والذي لمسه إياد من بعض تصرفاتها، تأكد إياد من حقيقة مشاعره التي رواودته في المرة الأولى، كما







أدرك أن يسرا شخصية مختلفة كثيرًا عن كل يعرف، فتاة ذكية، مستقلة الفكر بدرجة كبيرة، تعشق الأفكار المبتكرة والخارجة عن الصندوق التقليدي لكنها مغلفة بغطاء كبير من الحزن لا يعلم له إياد سببًا..

دقت عقارب الساعة الحادية عشر، ابتسم إياد ليسرا التي حاولت إخفاء غضبها من تلك الدقات فأخرجت هاتفها وطلبت رقمًا ما..

- أيوة يا حبيبي، لا أنا جاية أهو..

- صعق إياد للمرة الثانية في تلك الليلة، لقد نسي تمامًا بمجرد أن رآها أنها ليست عزباء، فقد أنساه حضورها الكثير من التفاصيل، لكنه الآن تذكر تلك الحقيقة المرة التي وجب عليه تقبلها..

- دا زوجك؟

- زوجي"ضاحكة" لا أنا مش متزوجة، مش لابسة دبلة خالص اهه.

تغيرت تعابير وجه إياد مرة واحدة، انقشع الظلام الذي سيطر على جوانحه ودخل النور، يعلم الآن أن عليه الرحيل حتى لا يخطئ في القول أو القرار، طلب الإذن منها وهم بالرحيل، لكن سؤالًا ما جال بخاطره واستوقفه..

- هو انا مش هاشوفك تاني؟ قال إياد.

نظرت له قليلًا وملامح القلق تبدو على وجهها، لو لينا نصيب نتقابل هنتقابل تاني صدفة.

شكرها كثيرًا على ذلك الوقت الرائع وعلى إحضارها للهاتف، ثم غادر المكان هذه المرة شاعرًا بالنصر وأن أبواب السعادة قد فتحت له مرة أخرى.

* * *







(3)

20 / 9 / 2010

فتح الستار في التاسعة مساءً، كان مسرح "بيرم التونسي" ممتلئًا بالكامل ولا يوجد مقعد فارغ، حضر الجميع كالعادة من مختلف البقاع ليشاهدوا العرض، تجربة مختلفة جدًّا على جيسي وتحدٍّ كبير، فلم يكن تغيير المسرح والجمهور للمرة الأولى منذ بداية مشوارها الفني هو ما يقلقها، إنما كانت ترهب ذلك النص المسرحي الجديد الذي لم يأخذ حقه من المراجعة والتدريب، فقد جاءتها تلك الفكرة المجنونة وهي تراجع أوراقًا سجلها المرضى، وتتذكر قسم تلك العجوز التي شخصت لها الحالة في بدايتها على أنه مرض القولون العصبي، فاقتنعت جيسي بذلك التشخيص الغير صحيح وسارت في رحلة علاجها الخاطئ وفيروسها الحقيقي يتفشى داخلها يومًا بعد يوم..

أنا نادين

" فتحت الإضاءة على تلك العروسة الخشبية التي توسطت المسرح وحدها.

صحفية تحت التدريب في مجلة كبيرة، حصل معايا في يوم موقف غريب جدًّا، موقف لا يمكن أنساه لحد الآن..



تغيرت الإضاءة تدريجيًّا، تم تشغيل موسيقى خلفية لمنطقة في أحد الأحياء الشعبية، صوت لعب الطاولة وقرقعة النارجيلة، صوت النادل على أحد المقاهي يلقي التحية، وبعض أصوات الفولكولور الشعبي التي تنقلك من مسرح بيرم التونسي في الإسكندرية لأحد أحياء مصر القديمة في القاهرة..

- صباح الخير يا عم سمير، عامل إيه النهاردا؟

ظهرت عروسة أخرى على المسرح بجوار نادين.

- صباح الخير يا بنتي، إزيك وازي والدك؟

- كلنا بخير يا عم سمير وانت أخبارك إيه؟

- أهو يا بنتي رضا، أؤمريني يا ست البنات.

- عاوزه كل علب المربى اللي عندك.

- كلها كلها؟؟

- آه يا عم سمير كلها وانا هاعدي عليك كل يوم آخد منك أي كمية عندك..

- طيب يا بنتي اتفضلي..

- شكرًا يا عمو سمير أشوفك بكرة..

اختفت نادين من على المسرح وظل سمير وحده لثوان حتى ظهرت عروسة أخرى على المسرح..

- صباح الخير يا حاج سمير

- صباح الخير يا علاء يا ابني..





- هي نادين كات عندك هنا..

- اسمها نادين من غير أستاذة؟ ينيلك يا مضروب.. آه كانت عندي.

- أصلي شايفها شايلة أكياس كتير قوي فاستغربت.

- أصلها يا سيدي جات وطلبت كل المربى اللي عندي، وطلبت مني كمان أجيب لها المربى الموجودة كل يوم وبأي كمية.

- غريبة يا عم سمير مع إن عمرها ما كانت بتحب المربى.

- وانت مالك انت واحدة وعاوزة مربى يخصك في إيه دا، وبعدين انت تعرف منين بتحبها ولا لأ انت مش هتبطل تدخل في خصوصيات الناس، لا أنا أسيبك بقى واروح أركز مع شغلي أحسن..

- اختفت الإضاءة المسلطة على سمير وبقي علاء على المسرح وحيدًا يحدث نفسه.

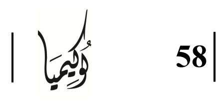
- منين ما كانتش بتحب المربى، ومنين دلوقتي عاوزة تجمع كل المربى اللي في السوق، أكيد الموضوع وراه سر.. أصل أكيد واحدة صحفية زي دي عندها أخبار ومعلومات لحاجة ممكن تحصل، أكيد فيه سر في علب المربى دي..

- يا علاء انت فين يا علاء؟.

انتبه علاء لذلك الصوت الذي يعرفه جيدًا، إنه صديقه حسن الذي يشاركه التفكير دومًا، ظهرت على المسرح دمية جديدة لحسن صديق علاء والذي بدأ حديثه مع علاء مباشرة..

- انت فين يا عم علاء بادور عليك م الصبح؟.







- أنا هنا يا حسن، كويس إنك جيت عشان في سر خطير عاوز أقولهولك.

- خير يا علاء سر إيه؟.

- عارف نادين الصحفية، شُفتها وهي طالعة من عند عم سمير وشايلة أكياس كتير، وطلبت منه يشيلها كل علب المربى اللي عنده وكل يوم هتيجي تاخدها..

- طب وإيه الغريب في كدا؟

- افهم يا غبي بقى، دي أكيد صحفية وعندها أخبار قبل أي حد، أكيد في سر في علب المربى واحنا لازم نعرفه، وعشان كدا أنا قررت أشتري بكل فلوسي مربى واشيلها لحد ما يجيلها يوم ونكسب احنا قبلها..

ظل الوضع هكذا فترة، تذهب نادين يوميًّا لسمير وتطلب منه كمية المربى التي تحتاجها، واكتشفت أن تلك الكمية تقل يوميًّا وشيئًا فشيئًا..

كان الوضع غريبًا بالنسبة لها حين أعلن سمير أنه لا يملك مقدارًا واحدًا من المربى، ظلت تبحث عن المربى في كل المحلات دون جدوى، ويومًا بعد يوم بدأت تستمع لتلك القصص الغريبة التي روجها علاء واستكمل أهل المنطقة تلك الحكايات بخيالاتهم المختلفة..

المربى هي نفط العالم القادم، علب المربى تربحك الجوائز، المربى ستختفي من الأسواق قريبًا، الآلاف من الأخبار والإشاعات سمعتها نادين في الفترة الأخيرة عنها وعن المربى حتى فجرت المفاجأة لسمير..








- يا عمو سمير كل الكلام دا خيال، كل الحكاية إن أختي حامل ونفسها في المربى، ولما داقت المربى بتاعتك عجبتها وطلبت كمية، إنما مافيش أي سر ورا الموضوع دا ولا حاجة..

خرجت جميع العرائس من المسرح ولم يتبق سوى علاء ونادين ودار الحوار بينهما على النحو التالي..

- اِنتِ عاوزة تستحوزي على كل المربى لوحدك عشان تكسبي اِنتِ في الآخر.

- أكسب إيه يا مجنون انت؟! كفاية إشاعات بقى الإشاعات دي هي اللي بتخلق الأزمة، انت عارف بسببك فيه كام واحد اشترى مربى، بسب إشاعة صغيرة ومش حقيقية خلقت أزمة في المربى في خلال يومين، تخيل بقى لو دا كان منتج مهم أو دوا أو أي حاجة، إشاعة واحدة زي اللي انت طلعتها دي ممكن تخلق أزمة ونرجع نقول المنتج دا ما بقاش متوفر ليه، بنمشي ورا كلام إحنا مش متأكدين إذا كان حقيقة ولا كذب، ونفترض استنتاجات من وحي خيالنا إحنا، وكل واحد بيفتكر إن اللي بيعمله مش هيأثر على حد، كل واحد بيفكر في نفسه بس، يعيش هو عشان يغرق الباقيين، ونرجع دايمًا نقول الحاجة مش موجودة ونشتكي دايمًا إن فيه أزمة، مع إن في الحقيقة إحنا الأزمة، إشاعاتنا وجهلنا بالحقيقة هم الأزمة الحقيقية واللي بندفع تمنها غالي قوي..

انطفأت أنوار المسرح مرة واحدة..

وقف الجمهور لترحيب جيسي التي توسطت المسرح كما تفعل دومًا..






هذه المرة كانت تشعر بالفخر لنجاح مسرحيتها الجديدة وسط ذلك الكم الهائل من الضغوط والمعوقات التي كانت تقف حائلة أمامها، كما أثبتت لنفسها أن المرض لم ولن يتمكن منها، أو أن عزيمتها ستقهر الخوف وتقتل المرض، المرض الذي لن تسمح له أن يلهيها عن أحلامها.

* * *

أربعة أشهر مرت على إياد منذ التقى بها، تلك الغريبة التي لا يعلم كيف احتلت قلبه بتلك البساطة، لم تجمعهما الصدفة مرة أخرى كما قالت، لكنه لم يفقد الأمل، يعلم أن ما حدث في لقائهما الأخير ليست نهاية العلاقة وأنها فقط البداية.. البداية لقصة غريبة تجمعهما معًا ولا يعلم تفاصيلها حتى الآن. لعل القدر يخبئ لهما شيئًا كبيرًا لا يعلمه حتى الآن، لكنه يتأكد تمامًا أن للحكاية بقية.

كانت الأشهر الأربعة مزيجًا مختلفًا بالنسبة لإياد، فقد كان إسلام مندور هو حالته المميزة التي نقلته إلى عالم جديد تمامًا في جلساتهم الأسبوعية، لم يعلم لم شغلت تلك الحالة تحديدًا حيزًا كبيرًا في نفسه، هل لأنها كانت نوعًا جديدًا من الحالات التي لم يقابلها سابقًا؟، أم لأنها مجموعة من القصص الغريبة التي نسجت بطريقة نظامية دقيقة فأثارت فضوله؟

أخرج إياد ملف الحالة من أحد الأدراج وبدأ في مراجعة تطور الحالة منذ البداية وحتى الآن.

كانت البداية حين وافق إياد على قبول حالة إسلام الغريبة، جاءه إسلام ليحكي له تفاصيل حياته الصغيرة منها والكبيرة..







كان إسلام شابًا طبيعيًّا يحظى بحياة مرفهة، توفي والداه وهو صغير تاركين خلفهم ثروة ضخمة انتقلت بالكامل لولدهم الوحيد إسلام، درس إسلام إدارة الأعمال في الجامعة الأمريكية وتعرف هناك على فتاة تدعى هند، تعلق بها كثيرًا دون أن يدري أنها فخ منصوب له لاستدراجه لجماعة سوداء تدعى عبدة الشيطان، استدرجته في بادئ الأمر بدافع الحب، ليجد نفسه متورطًا في جماعة من المحتالين والمخربين هدفهم الأول تخريب شباب هذا الوطن والعبث بمستقبل الجيل الصاعد عن طريق ترويج بعض الأفكار الشيطانية وما يتبعها من تناول العقاقير المخدرة وخلافه لإفساد الشباب وإفساد الوطن، في مخطط محكم بالكامل للقضاء على الجيل الصاعد وجعله غير قادر على المواجهة ليسهل لهم أعمالهم الخبيثة في نهب البلاد وتبديد ثرواتها..

اكتشف إسلام تلك الحقائق في وقت مبكر وقبل فساد روحه، اكتشف خيانة هند له وأنه لم يكن إلا وسيلة لتحقيق مقاصد تلك الجماعة الفاسدة، سقط قناع الحب من على وجهها ليظهر قناعًا آخر أكثر وحشية ودموية، قناعًا صادمًا له لكنه جاء منقذًا، واستطاع بصعوبة بالغة الخروج من تلك الجماعة في الوقت المناسب.

كان إياد على وشك استكمال الملف حتى جاءه صوت الباب معلنًا عن وصول إسلام في الموعد المحدد له، أغلق إياد الملف سريعًا وسمح له بالدخول.

- صباح الخير يا دكتور.



- أهلًا أهلًا صباح الخير يا إسلام، عامل إيه النهاردا.

- الحمد لله يا دكتور أحسن كتير ودا كله بفضلك انت.

- لا طبعًا مش بفضلي، دا كله حصل عشان انت عندك إرادة وكنت عاوزة يحصل، أنا مجرد سبب مش أكتر.

- بجد يا دكتور أنا مش عارف من غيرك كنت هاعمل إيه، فاكر أول يوم جيت لك فيه قُلت لي إن عندك أمل كبير في علاجي، و قُلت لي إن دايمًا في شعراية صغيرة بين الأمل واليأس لو شديناها جامد هتتقطع ويوميها قررت إننا هنمشي ع العلاج البطيء، أربع شهور يا دكتور عالجتني فيهم من غير يأس، كل يوم كنت حاسس إن حياتي عبارة عن وقت بيجري من غير زمن، الأيام بتعدي شبه بعض واللي بيتغير بس التاريخ كانت الساعة بتزيد والأيام بتجري وانا حياتي واقفة ما بتتحركش، عشان كدا أنا هافضل عاجز عن شكرك لآخر يوم في عمري..

- الموضوع مش كبير قوي كدا زي ما انت فاكر، أنا ما عملتش غير واجبي بس.

- لا يا دكتور مش واجبك، انت تعبت معايا كتير، حاولت تطلع الضلمة اللي جوايا وتبدلها بالنور وما يأستش غير لما خليتني أخف واتعالج من اللي كنت فيه..

دا انت كمان ساعدتني إني أتخلص من الجماعة دي من غير ما يحصل لي أي مشاكل، ودي حاجة أنا كنت شايفها مستحيلة..







- ع العموم أنا مش لاقي كلام أقولهولك كل اللي أقدر أقولهولك إنك هتوحشني والله العظيم، انت مش مجرد حالة كنت باعالجها، انت صديق والله يا إسلام.

- طيب مش الصديق دا ليه حق عند صديقه؟

- طبعًا ليه.

- يعني لو طلبت منك حاجة هتوافق؟

- أكيد.

- طيب أنا جاي عشان أعزمك على فرحي، بكرة بالليل في فندق *** أنا عارف إنك ما بتحبش الأفراح، بس دا طلب واتمنى إنك تنفذهولي.

- هاحاول إن شاء الله.

- لا مش هتحاول انت لازم تيجي أكيد.

- أكيد والله إن شاء الله.

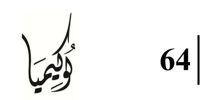
- هاستناك يا دكتور، الفرح مش هيكمل من غيرك، ماعلش استأذن أنا بقى عشان اروح أستعد واجهز نفسي.

- ماشي يا إسلام اتفضل، وألف مبروك يا إسلام.

هم إسلام بالرحيل لكنه تذكر شيئًا

- ما سألتنيش مين العروسة يا دكتور..

- آه فعلًا، مين العروسة؟



- روهندا.

- روهندا بجد؟! قال إياد مندهشًا.

- آه يا دكتور روهندا بجد، هيا كانت عاوزة تيجي معايا تعزمك بنفسها، بس انت عارف الترتيبات بقى، وانا قلت لها إني هاعزمك بنفسي واوصلك تحياتها.

غادر إسلام مكتب إياد على الفور، بدأ إياد بتذكر بعض الأحداث في الشهور الأربعة الماضية، وسؤالًا ما زال في خاطره ولم يعرف له جوابًا.

- روهندا بجد؟!

* * *

ارتفع صوت المنبه في غرفة يسرا معلنًا عن الرابعة عصرًا، غادرت سريرها وبدأت بتغيير ملابسها فقد كانت تستعد للذهاب لعملها مبكرًا في ذلك اليوم.

فتحت خزانة ملابسها لتختار شيئًا ترتديه فوقعت عينيها على ذلك القميص الوردي الذي لم ترتده منذ أربعة أشهر، فقد كان يذكرها ذلك القميص بالغريب الذي أوقعه القدر في طريقها، " إياد الملواني " الطبيب النفسي الذي لم تقابله سوى مرة واحدة لبضع دقائق، لا تعلم لم تتذكره جيدًا حتى الآن، ولا تعلم لم تشعر بطريقة ما أنه شخص مختلف، شعرت في وجوده خلال تلك الدقائق بإحساس غريب لم تشعر به مطلقًا.. مزيجًا من الأمان والراحة ملأ جوانحها في وجوده ولم تشعر بمثيل ذلك الإحساس طوال الربع قرن الماضي من حياتها.

مسيوفونيا، تلك الكلمة الغريبة التي تذكرها جيدًا حتى الآن رغم صعوبتها.







لا تعلم كيف استطاع في تلك الدقائق كشف حقيقة اضطرابها النفسي، الذي عجز جميع الأطباء عن تشخيصه.

لم تعلق به قلبها الصغير!! هل لأنه طبيب نفسي شخص حالتها جيدًا، أم أنها على أعتاب تجربة جديدة لا تعلم شيئًا عن تفاصيلها بعد؟

ما زالت تذكر بريق عينه أمامها، آمنت للمرة الأولى بلغة العيون وسحرها، فقد رأت في عينه ما لم ترَ في عين مخلوق سواه، تلك المشاعر النقية التي أجبرت عينها على الاستسلام أمامه وإعلان الخضوع.

أرادت طوال هذه الفترة أن تتواصل معه، أن تكرر تلك التجربة الرائعة التي تملكتها في حضوره وفي ذكراه لكن شيئًا ما بداخلها كان يرفض الفكرة أو يرغب في تأجيلها.

انتهت يسرا من تلك الأفكار سريعًا، أسقطت من على كاهلها ذكريات الماضي وبدأت رحلتها في الاستعداد لمغادرة المنزل حتى فاجأتها شقيقتها الصغرى غادة.

- يسرا، هتخلصي شغلك إمتى بكرة؟

- في ميعاد كل يوم، اشمعنى يعني؟

- لا حاولي تاخدي إجازة بكرة، أو تاخدي شيفت الصبح عشان عندنا فرح مهم

مش فاضية يا غادة

- يعني إيه مش فاضية؟ قالت غادة بضيق:



إحنا رايحين كلنا أنا وبابا وماما وانتِ لازم تيجي، وبعدين أنا عزمت هشام ييجي بكرة عشان يتعرف على بابا وبصراحة ما عنديش استعداد إني ما اشوفوش بسببك.

- طيب ما تروحي اِنتِ وبابا وطنط، أنا مالي يعني؟

- ما هو بابا قال إنه مش عاوز يروح من غيرك.

ابتسمت يسرا لتلك الجملة التي سمعتها وأثلجت روحها، ما زال والدها وبعد كل ما فعل يهتم لأمرها، عادته منذ وفاة والدتها وانضمامها لبيته الثاني، يشعر أن يسرا حرمت من أشياء كثيرة في الحياة بفقدان والدتها، مما كان يدفعه دومًا لتوفير الحياة الكريمة لها والاستجابة الفورية لجميع متطلباتها، فقد ساعدها كثيرًا بعد التخرج للحصول على الوظيفة التي ترغب بها في تلك الشركة التي تعمل بها حاليًّا، اشترى لها سيارة من الطراز الحديث يحلم بمثلها نصف أثرياء البلد وأبناؤهم، لم يقدر على تعنيفها يومًا ما ولم يسمح لزوجته أن تحدث معها شجارًا من أي نوع..

أسند إلى نفسه منذ البداية مهمة الاعتناء بها، حتى أن صغيرته غادة لم تأخذ حقها الكافي من الرعاية الأبوية، كانت زوجته تستشيط غضبًا من عدم اهتمامه بابنتها غادة وقد علل ذلك بأنه أولى رعاية غادة لها أما يسرا فلا تملك سواه ليحنو عليها..

- ها يا يسرا هتيجي ولا لأ؟

- برضه يعني مش مقتنعة وبعدين مين هشام دا؟





- هشام دا واحد صاحبي.

- كان معاكِ في المدرسة يعني؟

- آه كان معايا بس هو أكبر مني ب 3 سنين بيدرس بيزنس في ال إي يو سي.

- طب وبابا سايبك كدا عادي؟

- أصل بابا طلع صاحب باباه. أخفضت صوتها وأضافت:

بابا كمان بيقول على باباه بيزنس مان كبير قوي.

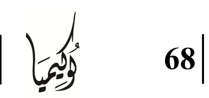
ابتسمت يسرا داخلها مرة أخرى، ها هو التاريخ يعيد نفسه، نبيل منصور الذي تزوج والدتها في الماضي لمصالح شخصية وكان سببًا لحدوث النكبة في حياتها، يقع الآن في الفخ ذاته مع ابنته الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة، سيلقي بها إلى أرض النار وهو في أشد الرضا والقناعة إنه يفعل ذلك من أجل مصلحة الصغيرة كما قيل لوالدتها سلفًا، لكن الحقيقة ليست هكذا وإن ذلك الاختيار تحديدًا لم يكن إلا ميزان السماء جاء بعد أن أخذ الزمن دورته الكاملة ليقتص من الجاني ويسقيه من نفس الكأس الذي سقى منه والدتها يومًا ما وهي بالطبع لن تستطيع البوح بما يجول بخاطرها وإلا ستعرض نفسها لجدال عنيف مع والدة غادة وستصبح في النهاية متهمة بالغيرة والرغبة في تحطيم مشاعر الصغيرة..

- ماشي يا غادة حاضر هنروح إن شاء الله.

- بجد يا سوووووو!! بدأت ملامح البهجة تظهر على وجه غادة.

- آه يا حبيبتي بجد، عشان تبقي مبسوطة بس.







- ربنا يخليكِ لِيَّ يا سوكا.

- سوو وسوكا، لا دا اِنتِ مبسوطة قوي على كدا.

- قوي قوي يا يسرا بجد، أصلك مش عارفة هشام.. حاجة كدا فرنساوي خالص.. جينتل مان في نفسه قوي.. وتقيل كدا.

- بتحبيه يا غادة؟

لم تستطع غادة الإجابة على ذلك السؤال الصعب، فقد احمرت وجنتاها مرة واحدة، واتجهت بنظراتها إلى الأسفل.

- بتحبيه صح؟! كررت يسرا سؤالها مرة أخرى.

- آه يا يسرا باحبه قوي.

ابتسمت يسرا لشقيقتها غادة، وابتسامة أخرى في داخلها من أفعال القدر فمهما ظننت أنك ستنجو فإنك هالك لا محالة..

* * *

- مين روهندا دي يا إياد؟

- روهندا العطار دي كانت مريضة عندي يا علي، المشكلة إن إسلام هو اللي جابها عندي، قال لي إنها أكتر من أخته وانها أكتر إنسانه هو بيثق فيها، ولما حبيت أعالج إسلام عن طريقها، اكتشفت إن روهندا أصلًا محتاجة تتعالج..

- وطبعًا بدأت معاها علاج فورًا.

- كان لازم أعالجها لأنها الوحيدة اللي كانت قادرة انها تعالج إسلام.







- انت مش شايف إن حالة إسلام دي خدت منك وقت كبير قوي.

- ما انا قلتلك قبل كدا ع الأسباب.

- آه آه صح، نسيييت.. انت عارف الزهايمر بقى.

- ربنا يعينك يا ابني والله انت عندك كمية قضايا مكعبلة أكتر من المرضى بتوعي.

- بس عارف، الطب النفسي مهم جدًّا في قضايا كتير عندي عشان الحالة النفسية للمرضى بتوعك بتشبه كتير الدوافع النفسية للمجرمين والمتهمين عشان كدا طول عمري باقول الطب النفسي والحقوق بيتقابلوا في الآخر في طريق واحد انت فاهمني يا إياد؟!

- فاهمك! يا ابني انت مافيش حد فاهمك زيي عشان كدا صممت إني أحكي لك على روهندا.

- احكِي.

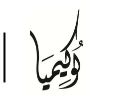
- بص يا سيدي، إسلام وروهندا كانو أصحاب جدًّا، أهل روهندا كانو أصحاب أهل إسلام، واما ماتوا كانوا أهل روهندا بيعتبروا إسلام زي ابنهم بالظبط عشان كدا كانت علاقة إسلام بروهندا قوية قوي.

- طيب برضه فين المشكلة؟

- يابني اهدا أنا بافهمك بس العلاقة.

- طيب ماشي بس انجز عشان نلحق الفرح، ولا هنقعد نتكلم بقى أنا وانت ونسيب الفرح؟







- والله أنا لو عليَّ مش عاوز أروح أصلًا. قال إياد ضاحكًا.

- يا ابني انجز بقى واحكي لي.

- ماشي، روهندا كانت بتخاف من الرجالة عمومًا، ودا بسبب المشاكل اللي كانت عندها في البيت، مامتها زرعت جواها دايمًا الخوف من الرجالة وأقنعتها إن كل الرجاله خاينين ولما مامتها ماتت قلبت في مذكراتها وفي جملة اتعجبت منها قوي واللي بسببها العقدة زادت.

- كانت بتقول إيه الجملة دي؟

" إذا أردت معرفة الحقيقة فأحضر امرأة في مجالس الرجال، فالمرأة قادرة على كشف الأسرار بمفتاحها السحري، والرجل دائمًا قفل يحتاج إلى ذلك المفتاح"

- عشان بعد كدا اما أقول لك يا قفل ما تزعلش. قال علي ضاحكًا.

- ما انت كدا تبقى بتشتم نفسك كمان يا اهبل.

- طيب طيب، كمل وبعدين؟

- المهم إن روهندا خدت فترة علاج كبيرة جدًّا عشان تتخلص من الأزمة دي، سافرت برَّا مصر وقابلت هناك شاب كان كويس، اتجوزوا ورجعوا مصر بعد شهرين من جوازهم، في يوم قالت له إنها هتسافر لخالتها في اسكندرية 3 أيام عشان تزورها..

- وطبعًا رجعت البيت لقيته بيخونها.

- طبعًا، ومش كدا بس.. الغريب إنه خانها ليلة ما سافرت وبعد حوالي 3 ساعات من نزولها..







- هو ما كانش متوقع إنها هترجع بالسرعة دي.

- أكيد.. المهم اتطلقت ودخلت في حالة اكتئاب كبيرة، الوحيد اللي كان واقف جنبها إسلام بالرغم من إنه أصلًا كان مضطرب نفسيًّا، بس هي كانت بالنسبة لة الأمل اللي عشانه كان مصمم يتعالج، ودا اللي خلاني أقبل حالة روهندا زي ما قلتلك في الأول..

- قصة غريبة جدًّا حقيقي.

- لا وفيه تفاصيل كتير ما رضيتش أدخلك فيها بقى، عشان كدا باقول لك إن إسلام وروهندا أغرب حالتين أنا شُفتهم في حياتي.

- عشان كدا قررت تتخلى عن مبادئك وتحضر الفرح.

- آه وعشان كمان دول أجن من بعض، ممكن يبوظوا الفرح في أي لحظة وانا لازم أكون مستعد.

- طب يلا بينا بقى عشان ما نتأخرش.

- طيب ماشي يلا، البدلة شكلها حلو.

- آه شكلك عريس، باقول لك إيه مش هتتجوز بقى يا إياد؟

- مش لما تتجوز انت الأول.

في هذه الأثناء فتح باب غرفة إياد لتدخل والدته

- مساء الخير يا حبايبي، انتو رايحين فين كدا؟

- عندنا فرح يا طنط وإياد العريس.







- فرح!! أخيرًا أقنعته يا علي إنه يروح فرح، دا ما رضيش يروح فرح ولا واحد من قرايبنا لما الناس كلت وشنا

- والله يا ماما مش علي هو اللي أقنعني، أنا رايح الفرح عشان دول كانوا مرضى عندي وبصراحة خايف يبوظو الفرح. قال إياد باسمًا.

- طب بذمتك يا طنط مش شكله يقول إن هو العريس؟

- طب يلا يا لمض عشان ما نتأخرش، مش كنت عمال تزن عليّ؟

- آه يلا بينا، مش عاوزة حاجة يا طنط.

- عاوزاك تشوف لصاحبك دا عروسة حلوة.

- يا ماما خلاص بقى مش وقته، مش عاوزة حاجة يا ست الكل؟

- لا يا حبيبي خد بالك من نفسك.

غادر علي وإياد المنزل في طريقهم لفندق سميراميس لحضور الفرح.

* * *

كانت جيسي جالسة في أحد الكافيهات المطلة على البحر بمنطقة جليم تفكر في التطورات التي شهدتها في الفترة الماضية فها هي فترة أخرى تمر عليها دون أن تستسلم للمرض، تزاول حياتها بشكل طبيعي بين عروضها المختلفة التي حققت نجاحًا باهرًا ودراستها التي أثبتت فيها تفوقًا كبيرًا، بدأت تتذكر حديثها مع الطبيب الذي سئمت الذهاب له، ذلك البرود المتناهي الذي يتحدث به دومًا عن مرضها، والذي يجعلها في كل مرة تندم على تلك الزيارة..







كانت تفكر في صديقة عمرها يوستينا، فبعد ثلاثة أشهر سيتم إعلان زفافها على ملاك وستتركها وحيدة فقد كان وجود يوستينا جانبها يقوي من ساعدها ويشد من أزرها، فماذا ستفعل بعدها؟

هل تعود إلى أهلها في أستراليا لتكمل حياتها على الأراضي الغريبة وتترك تلك البلد التي احتضنتها والتي تعشق ترابها، هل ستترك ذلك الجمال المخبأ على شواطئ الإسكندرية لتستبدله بأرض أخرى لا يربطها بها سوى بعض أوراق الهوية، هل تستبدل هؤلاء الأشخاص ممن يحملون الدهر بين قسمات وجوههم ويواجهون الصعاب بابتسامة صافية بتلك المجموعة من ذوات الدم البارد؟

بالطبع لا، لن تترك الإسكندرية التي عشقتها، تلك المدينة الساحرة التي تشبهها كثيرًا حتى ارتبطت أحدهما بالأخرى، ذلك البحر الواسع الذي يضطرب مع خفقان قلبها وكأنه يعلم ما بداخلها فيجيبها بذلك الكم من الموج الهائج، كيف تتخلى عن فصل الشتاء بكل ما يحمل من معاني الأسى التي تحملها دومًا داخل روحها؟

نظرت للسماء كما كانت تفعل مؤخرًا كواحدة من ضمن العادات المكتسبة بعد مرضها، أخذت تدعو الله سرًّا أن يفرج عنها تلك المحنة ويقف بجوارها لتتخطى ذلك الابتلاء الكبير الذي كاد أن يقضي عليها..

- آسف جدًّا يا افندم -انتبهت جيسي لصوت النادل الذي لا تعلم متى جاء- محتاج الحساب عشان خلاص هنقفل.

- ليه هي الساعة كام دلوقتي؟



- الساعة 3 بعد نص الليل وزي ما حضرتك عارفة إن الإجازة خلصت من شهر ودلوقتي مافيش مصيفين واحنا لا....

رفعت جيسي يدها لذلك النادل لتوقف تلك الأسطوانة التي تعلمها جيدًا، وضعت حساب طلباتها على الطاولة وغادرت المكان.

وقفت على الرصيف المواجه لذلك الكافيه لتستقل عربة ما، دقائق مرت دون أن تجد عربة خالية، توقفت لها بعض السيارات الخاصة التي خرجت من أصحابهم بعض العبارات التي تعلمها جيدًا كالتفاوض على قضاء ليلة ساخنة اعتقادًا منهم أنها إحدى فتيات الليل.. تجنبت تلك السيارات دون تعقيب حتى جاءتها سيارة يبدو من هيئة صاحبها أنه مخمور العقل، وقف أمامها بقوة مستخدمًا المكابح التي أصدرت صوتًا شنيعًا ونزل من السيارة للتفاوض معها كما فعل الآخرون.

حاولت أن تتجنبه لكنها فشلت، سارت على الطريق دون أن تعيره أي اهتمام لكنه سار خلفها، وتحت تأثير الخمور التي أفقدته عقله أمسك يدها مصممًا أخذها في سيارته، قاومت بكل ما تستطيع من طرق، كالت له من الضربات ما قد يوقع ثورًا، لكنه تحت تأثير المخدر الذي تناوله، لم يشعر بأي ألم ولكنه زاد إصرارًا على أخذها معه كعقابٍ لما تفعل..

بدأت جيسي بالصراخ، ارتفع صوتها ليبدد طبقات السكون، كانت روحها تبكي بحرقة على ما يحدث لها، فلو يعلم هذا المخبول أنها مصابة بواحد من أخطر أنواع السرطان لتركها وشأنها، لكن هيهات فقد وقعت الفريسة في مضجع الذئب ولا سبيل للفرار..

* * *







وصلت يسرا إلى الفندق بصحبة عائلتها، ذلك الزفاف السخيف لأحد أقارب زوجة والدها والذي لم تكن تنوي حضوره مطلقًا، إلا أن والدها جعل حضورها أساسيًّا لكي يذهبوا جميعًا كعائلة واحدة..

منذ وصول يسرا للقاعة لم تغادر الطاولة التي تجلس عليها، تراقب بعينها تصرفات كبار رجال المجتمع الحقيقية، تتفحص الوجوه لتتعرف على الحقيقة وبالطبع لم تنس مراقبة شقيقتها غادة التي لم تفعل شيئًا منذ أن وصلت إلا الاتصال بصديقها هشام..

لم يكن يجول بخاطرها في ذلك الوقت إلا سؤالًا واحدًا

هل كان نبيل منصور سيسمح ليسرا بالحصول على صديق حتى لو كان من أبناء العامة؟

بالطبع لا، فوالدها لم يكن يومًا الرجل الغربي المتفتح، لكنه أمام صفقاته قد يسمح ببعض التنازلات، كأن يكون هناك صديق لصغيرته غادة..

أما عن غادة فقد كانت اليوم في كامل رونقها من أجل لقاء صديقها هشام الذي لا تعلم لم تأخر حتى الآن ولا يجيب على هاتفه..

خرجت من القاعة لتنتظر باستقبال الفندق فوقعت عينها عليه، ذلك الشاب الوسيم الذي يرتدي ملابس نصف رسمية ويمسك في يده كاميرا تصوير فوتوغرافية.

- هشام!! هشام!! صاحت غادة قائلة.

التفت ذلك الشاب إلى غادة فارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة.





- إيه يا بنتي أنا قلت إني جيت فندق غلط.

- "ضاحكًا" لا هو الفندق صح بس في القاعة إلى فوق.

- فعلًا؟؟

- آه والله، تعالي بقى أعرفك على بابا.

اصطحبت غادة هشام إلى القاعة وقدمته إلى والدها الذي قال:

- إزيك يا هشام يا ابني وبابا عامل إيه؟ على فكرة أنا قدمت لغادة معاك في ال إي يو سي عشان تاخد بالك منها.

- طبعًا يا عمو، أكيد حضرتك مش محتاج توصيني.

- طب يلا يا ولاد انبسطوا بقى.

- ذهب هشام بصحبة غادة إلى الطاولة التي تجلس عليها عائلتها.

- ماما هشام، هشام ماما.

- إزيك يا هشام يا حبيبي، غادة حكَت لي عنك كتير.

- ميرسي يا طنط، هيا غادة كدا لسانها مسحوب دايمًا.

- طيب اتفضل يا حبيبي انت مكسوف ليه.

- ماشي يا ماما أنا هاخده يسلم على يسرا ونجيلك تاني، هيا فين بقى؟

- مش عارفة هي قالت لي إنها هتعمل تليفون وتيجي.

- طيب أوك هاشوفها ع السلم.

* * *

وصل إياد وعلي إلى الفندق تمامًا في الموعد، صعدا إلى القاعة المقام بها فرح روهندا وإسلام ليجداهما في الرقصة الافتتاحية، اختارا أبعد الطاولات عن المعازيم بناء على رغبة إياد.

ثوان مرت وانتهت الأغنية، قام بعض الحضور بتهنئة العروسين والتقاط بعض الصور التذكارية، مما دفع إياد للانغماس وسط الحضور لتهنئة إسلام وروهندا..

- ألف مبروك يا إسلام.

- الله يبارك فيك يا دكتور كنت هازعل قوي لو ما كنتش جيت.

- لا طبعًا أنا ما اقدرش، مبروك يا روهندا.

- الله يبارك فيك يا دكتور الفضل بعد ربنا ليك انت في الفرح دا.

- ناويين تقضوا شهر العسل فين؟

- شوف يا دكتور أنا ناوي آخد روهندا ونلف العالم كدا لفة حلوة.

- طيب حاولوا تنبسطوا ولو في مشاكل قابلتكم كلموني.

غادر إياد القاعة بعد ذلك الترحيب معللًا لصديقه أنه خرج لإشعال سيجارة، لكنه في الحقيقة لم يُطِق الانتظار أكثر من ذلك، يشعر بأن الجميع يراقبه في القاعة مما دفعه للخروج.

جلس على أحد الكراسي في الطرقة، أشعل سيجارته ليخفف من ذلك الحمل، وجلس يفكر في ذلك السؤال الذي غلف تفكيره.







هل كان خاطئًا حين قرر حضور الفرح، هل كان ذلك هو نتيجة تخليه عن مبادئه؟

ظلت الأجوبة تترواح بين عقله حتى انتبه لصوت قدم أنثويه تتحرك ببطء على السلالم المواجهة له، صعد برأسه ليرى ملامح تلك الفتاة تمامًا كما رآها لأول مرة منذ أربعة أشهر..

- يسرا.. صاح إياد وأضاف:

- كنت لسَّا بافكر في... في المرة اللي شُفتك فيها.

- دكتور إياد، هتصدق لو قلت لك إني كمان كنت لسَّا بافكر فيك، انت جاي الفرح دا؟ أشارت إلى القاعة المواجهة لإياد.

- آه وانتِ؟

- لا أنا فرح في الدور اللي فوق.

- تفتكري دا الميعاد؟

- ميعاد إيه؟

- الصدفة.

- انت فعلًا كنت مستنيها؟

- 4 شهور وانا مستنيها، ما رضيتش أكلمك فيهم عشان ما اغيرش قوانين اللعبة، بس طالما شُفتك تاني يبقى أكيد في حاجة مكتوبة لنا سوا ولازم نشوفها.

- قصدك إيه؟







- وحشتيني يا يسرا.

فاجأها إياد بما قال للتو، لا تنكر أنها أيضًا لم تنسَه خلال الأشهر الأربعة الماضية لكن السؤال بدا لها غريبًا نوعًا ما، همت يسرا بالإجابة حتى ظهرت شقيقتها غادة بصحبة شاب وسيم نوعًا ما، والتي خمنت غادة أنه بالتأكيد ذلك المدعو هشام..

- إيه يا يسرا، سِبتيني ورُحتِ فين؟

- مافيش كنت نازلة أعمل تليفون فقابلت دكتور إياد، دي غادة أختي يا دكتور.

- أهلًا وسهلًا يا غادة.

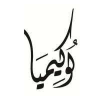
- أهلا بيك يا دكتور.. دا بقى هشام يا يسرا.

مد هشام يده لمصافحة يسرا، ثم صافح إياد هو الآخر قائلًا:

- حضرتك دكتور في إيه بالظبط، أصل معظم العيلة عندنا دكاترة.

لم يكن السؤال مفاجئًا لإياد الذي يتوقعه دومًا، خصوصًا من شاب ساذج يحاول تقليد من هم أكبر سنًّا بتلك الأسئلة التي لا تليق به، إنما كان السؤال مفاجئًا ليسرا التي انفجرت الدماء في وجهها مرة واحدة، لا تعلم كيف ستبرر علاقتها بطبيب نفسي إلا لو كانت مريضة، حتى لو أقسمت لأهلها أنه مجرد عميل، ستثار الشكوك حول تلك العلاقة التي تجعل عميلًا يتذكر جيدًا شخصية تعامل معها مرة أو مرتان على الأكثر وبالطبع ستكون مادة خام لزوجة أبيها لنسج الخيالات وربطها معًا لتجد المبررات لرفض يسرا المتكرر للزواج..







استطاع إياد قراءة ما يدور في عقل يسرا، حتى ولو لا يعرف الأسباب، إلا أنه رأى في عينيها استغاثة بألا يذكر شيئًا عن وظيفته كطبيب نفسي..

- لا يا هشام أنا مش طبيب، أنا دكتور في كلية آداب.

قالها وابتسم ابتسامة خفيفة لم تلحظها سوى يسرا وحدها.

- آه اتشرفت بحضرتك يا دكتور.

- الشرف لِيَّ يا هشام، عن إذنكم يا جماعة.

غادر إياد القاعة بعد أن صافح الحضور، تحدثت غادة مع يسرا قليلًا عن هشام الذي استأذن هو الآخر لعمل مكالمة هاتفية وقد دار الحديث على النحو التالي:

- إيه رأيك في هشام يا يسرا؟

- كويس.

- يعني إيه كويس؟

- شاب كويس يا غادة، شكله ظريف وابن ناس، يعني عريس لُقطة.

- طب وإياد؟

- ماله إياد؟

- بتحبيه صح؟

صعقت يسرا من ذلك السؤال المفاجئ فقالت مسرعة:

- نعم!! إيه اللي اِنتِ بتقوليه دا؟



- باقول يعني إنه طول وعرض ووسيم، وعلى فكرة هو شكله حلو قوي هيبقى عريس يجنن جنبك في الكوشة..

- طب بس بس كفاية كلام في الموضوع دا.

عادت غادة إلى القاعة تاركة يسرا وحدها بين أفكارها، بدأت تفكر في الحديث الذي دار بينها وبين إياد، هل قالها حقًّا؟!، لا يبدو على رجل كهذا أنه رجل طائش أو مراهق كبير، لكن كيف قالها وهو لا يعرف شيئًا عن يسرا، ولكن هل كان لا يعرف حقًّا؟!

أليس هو ذلك الشخص الذي فاجأها منذ قليل بالكلمة التي قالتها في سرها دون أن تخبره بها، وإن كانت تلك صدفة، فهل كان حديث شقيقتها عن إياد كزوج مستقبلي مجرد صدفة أيضًا؟!

بالطبع لا، بل إن الحكاية كما اعتقدت سابقًا معدة ومجهزة من قبل القدر وستعرف تفاصيلها يومًا بعد يوم، تلك التفاصيل المغزولة بعناية تامة والتي جعلتها على يقين أن للحكاية بقية..

* * *

يا إلهي ماذا ستفعل تلك المسكينة الآن؟

حاولت جيسي الصراخ طلبًا للعون، انتظرت أن يبادر أحد المارة أو أصحاب السيارات بالوقوف لكن دون جدوى.. فالبعض هنا يرى من أمثال تلك القصص يوميًّا، يعتقدون أنه خلاف عادي نشب بين الشاب والفتاة لسبب أو لآخر، والبعض الآخر يعتقد أنه لا شأن له بتلك المشكلة من الأساس..



ذلك النوع السلبي من البشر مفضلي تجنب المشاكل حتى ولو كانت المشكلة قد تودي بحياة فتاة في مثل عمر جيسي إلى الهلاك..

ثوان أخرى مرت من المقاومة شعرت فيهم جيسي بقرب نهايتها، لم تعد تدرك شيئًا حولها مطلقًا.. ثم فجأة سار الأمر في اتجاه معاكس وبشكل جنوني.

شعرت بيد ذلك الغريب تخفف من الضغط على معصميها، رأت شابًّا آخر قد سحب ذلك الغريب وانهال عليه ضربًا حتى أعياه..

الصراع قد اشتد..

الغريب يحاول الهروب من يد ذلك الشاب..

حاول الغريب فتح سلاح أبيض أخرجه للتو، أخذه منه الشاب وأكمل ما قد بداه من تسديد اللكمات للغريب ذي العقل المخمور..

دخل الغريب إلى سيارته بعد عناء شديد وأطلق لها العنان لحظات ولم يظهر في الأفق..

رأت جيسي ذلك كله في ثوان ولم تفهم ما حدث، اقترب منها الشاب الذي شعر بخوفها الشديد وحاول تهدئتها..

- ما تخافيش يا آنسة، حصل خير.

لم تقوَ على الرد، لا تملك حرية التحكم في صوتها الذي هرب منها للتو، فقط اكتفت بتحريك رأسها للشاب الذي بدأ ببث الطمأنينة في نفسها شيئًا فشيئًا..

- لسَّا خايفة؟







هزت جيسي رأسها بالإيجاب

- طيب تحبي أوصلك في مكان معين

- لا.. قالتها جيسي بعد عناء شديد.

- ما انا مش هينفع أسيبك في وقت متأخر زي دا.

شعرت جيسي بأنه محق، لا تعلم لم لا تشعر بالرهبة في وجوده، هل لأنه أنقذها؟ أم لأن هيئته وملامحه توحي بالاحترام؟

حاولت جيسي تمالك نفسها مرة أخرى، انتظرت ثوان وقالت:

- أنا ساكنة قريب من هنا.

- طيب مافيش مشكلة إني أوصلك لحد هناك، تحبي نركب العربية؟!

بدأت ملامح القلق تبدو على جيسي مرة أخرى فعاجلها قائلًا:

- لا بلاش العربية، إحنا نتمشى أحسن.

هزت جيسي رأسها إيجابًا وبدآ في السير معًا.

- أنا أحمد الرواي، صاحب الكافيه اللي اِنتِ كنتِ قاعدة فيه.. أنا متعود أشوفك قاعدة عندنا كتير عشان كدا أول ما شُفتك وانا باقفل المكان اتأكدت على طول إن فيه مشكلة وجيت عشان أساعدك.

- متشكرة ليك جدًّا، أنا ما اعرفش من غيرك كنت هاعمل إيه.

- متشكرة على إيه؟ دا الواجب يا آنسة..؟؟

- جيسي.. جيسي رأفت



- آه اِنتِ بقى بتاعة مسرح العرايس؟؟ أو بتسموها اسم تاني كدا ومكعبل
ابتسمت جيسي رغم ما كان بداخلها من خوف، فقد استطاع أحمد بكلماته الساخرة نزع الرهبة من داخلها

- تقصد الماريونيت؟! قالت جيسي.

- أيوة الماريونيت، الماريونت.. سهلة إيه ماريو وبعدين نت.

ضحكت جيسي هذه المرة بشكل أكبر، فعلى الرغم من أن ذلك الشاب الذي يتسم بملامح رجولية صارخة إلا أن بداخله طفل كبير، فقد كانت إحدى ميزات جيسي هي معرفة ما يجري بأسوار الناس، تلك الخبرة المكتسبة من سنوات الإقامة في مصر والتي كانت تستخدمها جيدًا في مسرحها..

- طيب ماعلش ممكن سؤال؟ قال أحمد.

- إيه إلى يخليكِ تتأخري لوقت زي دا؟

- أنا كنت قاعدة في الكافيه بافكر في شوية حاجات ونسيت نفسي.

- قصة حب؟؟

- لأ.

- أمال إيه؟ أصل بخبرتي المحدودة يعني، مافيش حد بيجي اسكندرية ويقعد ع البحر لحد الساعة 3 غير حد من اتنين يا واحد بيفكر في حبيبته اللي سابته أو اتنين عشاق جايين يشهدوا البحر على قصة حبهم.

- أو حد موجوع.. عاجلته جيسي بالرد.

- موجوع من إيه؟

- حاجات كتير يا احمد، قصدي يا أستاذ أحمد.







- يا ستي أحمد حلو برضه خلي البساط أحمدي، اسمحي لي بسؤال تاني؟

لا تعلم جيسي لما كانت تستجيب لذلك الغريب، هل لأنه ساعدها؟!، هل كانت ترى في ملامحه الجادة ما لا يوحي بأنه يعبث؟!، أم أنها فقط أرادت التحدث له لتشعر ببعض الألفة كي تنسى ما حدث منذ قليل؟

ابتسمت جيسي له ثم قالت: اتفضل.

- هو اِنتِ مسلمة؟

للمرة الثالثة في تلك الليلة البائسة التي لا توحي بالبهجة تبتسم جيسي، ليس لغرابة السؤال؛ إنما لتكراره المستمر.

- أيوة مسلمة، بس اتولدت في أستراليا وما جيتش مصر غير من كام سنة بس.

- وأهلك عايشين معاكِ؟

- لا كلهم في أستراليا.

- طيب يبقى ما ينفعش تتأخري تاني بعد كدا برَّا البيت، الوضع مش آمن برضه، ربنا ستر المرادي وكنت موجود المرة الجاية ما حدش عارف إيه اللي ممكن يحصل..

- إن شاء الله مش هاتأخر تاني، أوعدك.

انسجمت جيسي مع أحمد بسرعة كبيرة، وبدرجة أنستها ما حدث في أول الليلة، حتى أنها لم تشعر بالوقت ولا بالمسافة عندما وصلت لمنزلها..

- طيب أنا ساكنة هنا.



- تمام، حمد الله ع السلامة.
- الله يسلمك، وبجد أنا متشكرة للمرة التانية ومش عارفة أقول لك إيه أو أرد جميلك ازاي.
- يا ستي لا جميل ولا حاجة، اتفضلي دا الكارت بتاعي لو عُزتِ أي حاجة كلميني، ولو جيتِ الكافيه في أي وقت لازم أشوفك.
- أكيد طبعًا مع إن دا برضه مش هيكفيك حقك.
- طب أنا ممكن أطلب حاجة كمان؟
- طبعا أكيد قول
- أنا صحيح ما باحبش المسرح قوي، بس لو عزمتيني على كوباية شاي في البروفة بتاعتك أو في أقرب عرض هاكون مبسوط قوي.
- طيب دي حاجة سهلة قوي وفي كل الحفلات كمان مش حفلة واحدة.
- تصبحي على خير.
- وانت من أهل الخير.

صعدت جيسي إلى شقتها، غيرت ملابسها سريعًا وصعدت إلى شرفتها، ستبدأ الآن حديثها اليومي للسماء، باءت الآن متأكدة أن لكل شيء سببًا في حدوثه وأن ربما لا ينسى أحدًا أبدًا فعلى الرغم من قساوة ما حدث تلك الليلة إلا أن نهايتها كانت سعيدة على غير العادة بسبب الشخص الذي أنقذها من هلاك محقق والذي كان سببًا أيضًا في زيادة إيمانها بقضاء الله ذلك الغريب "أحمد الراوي".

* * *





## (4)

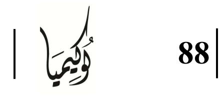
2010 / 12 / 30

بدأت الاحتفالات برأس السنة..

كانت يسرا تجلس في لونلينس كعادتها، كان المكان مختلفًا عن جميع الأيام فهناك زينة معلقة.. موسيقى هادئة وبعض تماثيل بالحجم البشري لبابا نويل أو " سانتا كلوز " فغدًا هو اليوم الختامي للسنة، سنة مختلفة تمامًا على يسرا، فها هي تنهي السنة مع حبيب جاء في الشهور الأخيرة ليعوضها عن الآلام التي مرت بها في حياتها، عادت بذاكرتها للوراء قليلًا لتتذكر كل ما حدث في تلك الفترة. فمنذ أن غادرت يسرا حفل الزفاف الذي قابلته فيه بمحض الصدفة وتغير كل شيء تقريبًا في حياتها، تتذكر كيف عادت لمنزلها ولم تستطع النوم، لم تستطع أن تفعل شيئًا سوى التفكير به وحده، ذلك الفارس الذي سيخطفها بالطبع على جواده الأبيض ويهرب بها بعيدًا عن عالمهم..

مر يومان عليها في ذلك الروتيين المعتاد، تذهب للعمل مساء وتعود للنوم حتى مساء اليوم التالي، برر الجميع نومها الدائم على أنه أحد أعراض الإنفلوانزا، لكنه لم يكن كذلك بل كان داءً أكبر بكثير "داء الحب" الذي لن تجد له دواءً إلا مع محبوبها إياد..







لم تستطع التحمل أكثر من ذلك، كان اليومان كافيين لها للتأكد من صحة مشاعرها، دخلت غرفتها وأطفأت الأنوار لمدة كبيرة ثم خرجت عن صمتها..

أخرجت هاتفها المحمول، أرسلت له رسالة نصية من كلمة واحدة.

"وحشتني" وضغطت زر الإرسال..

انتظرت لفترة دون أن يأتيها رد، شعرت فجأة أنها اندفعت في قرارها دون أن تدرك أبعاد الموضوع فبالطبع قد رأى إياد الرسالة ولم يُجبها، عله الآن يسخر منها مع محبوبة أخرى أو مع أصدقاء وخصوصًا بعد إهمالها الرد أثناء الفرح، كيف لها أن تتسرع في تلك الخطوة مع شخص لم ترَه سوى مرتين وبمحض الصدفة.

تملك منها اليأس وتمكن منها الضيق، غادرت غرفتها إلى الحمام لتبلل وجهها بقطرات الماء حتى تمتص بعضًا من توهجه، عادت إلى غرفتها وأمسكت هاتفها فوجدت رسالة نصية..

إنه هو، إنها الإجابة التي تنتظرها، لكن مهلًا هل ستكون الإجابة سارة أم لا، لا تعلم حتى الآن مشاعر إياد تجاهها لكن لا مفر..

فتحت الرسالة وبدأت في قرائتها..

"يومين و3 ساعات و21 دقيقة، دي المدة اللي عدت من آخر مرة شُفتك فيها، باحسبها بالدقيقة والثانية لحد ما نتكلم تاني، قلت مع نفسي لو ما اتكلمتش خلال 3 أيام يبقى أنسى الموضوع، كنت خايف ما تكلمينيش،







عشان أنا حبيتك قوي، آه حبيتك بجد وما تسأليش ازاي لأن أنا شخصيًّا مش عارف يمكن عشان كنت خايف أحبك .. إياد الملواني".

انتهت من قراءة الرسالة فشعرت أن روحها عادت مرة أخرى، تنفست الصعداء أخيرًا بعد تلك المعاناة التي شعرت بها، بدأت الروح تتجدد، الوجه يشرق، بدأ القلب يتهيأ لاستقبال حبيب جديد..

عادت يسرا من شرودها لتجد إياد قد وصل إلى المكان حسب الموعد المتفق

- مساء الخير يا حبيبتي، كل سنة وانتِ معايا.

- مساء الخير يا إياد، دايمًا تيجي في الميعاد.

- أنا لو اتأخرت ع الدنيا كلها مش هاقدر اتأخر عليكِ اِنتِ.

- يا سلام، طيب ماشي يا بكاش.

- أنا بكاش برضه، ماشي يا ستي بكاش بكاش.

- صحيح يا إياد كنت عاوزة أسألك على حاجة كدا.

- إيه خير؟

- أنا من يوم ما عرفتك وانا تقريبًا ما اعرفش عنك حاجة خالص.

- إزاي بقى؟ مش عارفة اسمي وعنواني وساكن فين؟

- لأ، مش كفاية يا إياد، إحنا كل مرة بنتقابل بتسيبني أنا اللي احكي كل حاجة وانت بتسمع بس، وكل ما اجيب لك سيرة البيت أو اصحابك تغير الموضوع.



- يا حبيبتي أنا باحب اسمعك.

- وانا كمان عايزة اسمعك.. عايزة اعرف البيئة اللي اتولدت فيها، الظروف والمشاكل اللي واجهتك لحد ما بقيت زي ما انت دلوقتي كدا، ممكن تحكي لي.

- حاضر يا يسرا هاحكي لك، بس عاوز أسألك سؤال.

- اسأل.

- فاكرة لما اتكلمنا في الأول وقلت لك إني ملخبط، وان جوايا حاجات كتير بتخوفني من الجواز ومن الستات عمومًا.

- أيوة فاكرة، وفاكرة لما قلت لك أنا معاك مش هاسيبك برضه.

- يا يسرا أنا باسمعك عشان مش عشان اتأكد إنك بتحبيني، لأني فعلًا متأكد.

- أمال عشان إيه؟

- أنا عاوز اتأكد إننا هنقدر نكمل، إن لو في يوم الحب اللي بيننا خلص نكمل مع بعض على الأقل عشان في بيننا احترام.

- انت ليه بتقول كدا؟

- عشان دي الحقيقة يا يسرا اللي لازم نكون عارفينها.

- إني هابطل أحبك؟ قالت يسرا مستهجنة.

لم يستطع إياد الإجابة، توقف عن الكلام للحظات، اقتربت منه يسرا ووضعت يديها على يديه كنوع من أنواع الدعم النفسي وقالت:







- أنا آسفة يا إياد أنا ما كانش قصدي إني أزعلك أنا بس كنت عاوزة أعرف كل حاجة عنك عشان أحس إني فعلًا شريكة حياتك.

- حاضر يا يسرا هاحكي لك كل حاجة.

- وانا حابة أسمعك، عشان أنا الدكتورة هنا وانت المريض.

- بصي يا يسرا، أنا إياد الملواني، إياد اللي اتولد تقريبًا ما شافش أبوه.

- أنا آسفة يا إياد، البقاء لله والل***

- مش ميت، لسَّا عايش... قال إياد مقاطعًا.

- أمال إيه؟

- سيبيني أخلص كلامي للآخر وانتِ تعرفي كل حاجة.

- ماشي كمل.

- بابا وماما كان بينهم قصة حب عنيفة جدًّا، حبوا بعض واتجوزوا في وقت صغير جدًّا، كان فيه بينهم مشاكل في بداية العلاقة زي أي اتنين متجوزين، بس بابا ما استحملش، اعترف لماما إنه مش قادر يكمل، وانه اكتشف إن الحب مش بيعمل معجزات زي ما كان فاكر وبعد 3 سنين جواز انفصلوا.

- طيب وهو فين دلوقتي؟

- صدقيني مش عارف، هو آخر مرة ظهر بعد الانفصال ب 5 سنين وقال إنه اتجوز وخلف بنت اسمها ياسمين، وانه هيبقى يتطمن علينا كل فترة وبعد كدا اختفى..







- تخيلي اِنتِ إن طفل عنده 8 سنين اتحرم من أبوه وهو لسَّا عايش بس للأسف مش عارف عنه حاجة عشان غلطة صغيرة..

تخيلي حجم المعاناة اللي عانتها أمي لوحدها وهيَّ كانت أم وأب ليَّ عشان غلطة هيا مالهاش ذنب فيها..

اتيتمت وابويا عايش، وأمي اترملت وجوزها عايش، كل دا عشان الراجل دا ما قدرش يكمل العلاقة بعد ما حس إن الحب اللي جواه خلص..

عرفتِ بقى أنا ليه لازم اتأكد إن علاقتنا دي هتستمر؟ عرفتِ ليه كنت باقول لك دايمًا إني خايف أحبك، عرفتِ ليه ما كنتش باحكي عن الماضي؟

- إياد، أنا آسفة بجد.. أنا ما كنتش عاوزاك تفتح في القديم، بس انا باحبك واوعدك إني هافضل جنبك مهما حصل.

ابتسم إياد لكلام يسرا ولم يعقب، فالقدر الذي فرق والديه قد يفرق أيضًا بينهما يومًا ما!!

* * *

بدأت جيسي ويوستينا الاستعداد لحفل الزفاف الذي سينعقد غدًا في كنيسة القديسين بمنطقة سيدي بشر..

تبادل يوستينا وملاك المكالمات عشرات المرات للتأكد من صحة كل شيء، مرت جيسي على مصفف الشعر أو الـ " كوافير " لتأكيد ميعاده، اتصل ملاك بجميع أصدقائه لتأكيد ميعاد الزفة، بينما كانت يوستينا تنقل آخر مقتنياتها من شقتها القديمة إلى عش الزوجية الجديد..







مر اليوم سريعًا على ثلاثتهم دون أن يشعر أيًّا منهم، وصلت كل من جيسي ويوستينا إلى شقة جليم للاسترخاء جيدًا، فغدًا سيكون بلا شك يومًا شاقًّا على الجميع..

- آآاااااه، أخيرًا يا جيسي.. بدأت يوستينا حديثها هكذا.

- أخيرًا يا حبيبتي خلاص، بكرة هتبقي أحلى عروسة في الدنيا.

- أكدتِ على المعازيم؟؟

- آه والله.

- طب والكوافير.

- بطلي قلق بقى يا يوسي كل حاجة تمام والله، عاوزاكِ تنامي بس وترتاحي عشان بكرة هيكون يوم صعب جدًّا

- مش مصدقة يا جيسي إن دي آخر ليلة هانام معاكِ فيها.

- ماعلش يا حبيبتي بقى هي دي سنة الحياة.

- طب بما إنها بقى آخر ليلة تعالي بقى نحكي كتير زي زمان إحنا بقالنا فترة كبيرة مش عارفين نتكلم بسبب الفرح واللخبطة دي كلها.

- عاوزة تتكلمي في إيه.

- حاجات كتير اِنتِ مخبياها عني.

- زي؟؟

- أحمد الرواي مثلًا.



فاجأت يوستينا جيسي بذكر ذلك الاسم الذي كان في ذاكرتها الآن، هل كانت تعلم يوستينا بما يدور في عقلها؟!

أحمد الراوي، ذلك الشاب الذي أنقذها منذ بضعة أشهر من حادث كان من الممكن أن يودي بحياتها.

تذكر كيف تكرر لقاؤهما بعد ذلك، بداية من زيارات بسيطة في الكافيه الذي يملكه، مرورًا ببعض الحفلات التي كانت تدعوه لحضورها وحضور البروفات الخاصة.

كانت تشعر في وجوده بشيء ما مختلف، كانت تتناسى الآلام في لقاءاتهم البسيطة، بدأت تشعر أن للحياة جانب مشرق مما دفعها للتمسك بالعلاج أكثر فأكثر وقد ظهر ذلك حين أخبرها طبيبها المعالج ببدء استجابة جسدها للعلاج..

كان وجوده بجوارها هو الدواء من ذلك السرطان الخبيث الذي لا يعلم عنه شيئًا، فهي وإن كانت أخبرته الكثير عن أهلها وعن شقيقتها الصغرى ملك وكيف كانت تحيا في أستراليا بصحبة والديها اللذين – وبالرغم من فرق دياناتهما – كانا يتعاملان سويًّا بمنتهى الرقي والاحترام المتبادل، لم تستطع إخباره بحقيقة مرضها، كانت تخشى أن يبتعد عنها وهي من آنسها وجوده.

تعتقد أن وجوده بجانبها حتى ولو كان بسيطًا سيساعدها كثيرًا على الاستشفاء، فالآن هي تملك هدفًا ساميًا لتحيا من أجله والفوز بقلب ذلك الرجل الذي لم ولن يتوانى لحظة في إسعادها وبث الطمأنينة في نفسها.








عادت جيسي إلى يوستينا بعد ما مر ذلك الشريط سريعًا في رأسها، أخبرتها بكل ما كانت تفكر به حتى قاطعتها يوستينا بذلك السؤال.

- اِنتِ بتحبي أحمد يا جيسي؟

- باحبه؟! صاحت جيسي.

- آه أنا شايفة من كلامك ومن تصرفاتك إنك بتحبيه.

- طيب حتى ولو باحبه إيه المشكلة؟

- المشكلة إنك مخبية عليَّ حاجة كبيرة زي دي، اِنتِ المفروض تقولي لُه وهو لو بيحبك بجد عمره ما هيتخلى عنك مهما كانت أسبابه.

لم تنتهِ يوستينا من جملتها حتى أجهشت جيسي بالبكاء.

- مالك يا جيسي، في إيه بس؟

- مش متخيلة إنك خلاص بكرة هتسيبيني وتمشي يا يوستينا، أنا اكتشفت إن ماليش حد غيرك بجد، بلاش تنسيني والنبي واسألي عليَّ كل شوية.

ضمت يوستينا صديقتها جيسي إلى صدرها وقالت:

- أسيبك ازاي يا عبيطة دا أنا روحي فيكِ، عارفة أنا هاكلم ملاك واقول له نعمل شهر العسل عندك هنا في الشقة.. بس على شرط إنك تظبطينا بقى.

- ابتسمت جيسي لتلك الدعابة التي حاولت صديقتها التخفيف عنها بها، لكن روحها لم تستطع أن تبتسم.






ضمت هي الأخرى صديقتها وطلبت منها الاسترخاء حتى تستطيع مواجهة ذلك اليوم الصعب الذي ينتظرهم بالغد، صعدت إلى شرفتها بعد فترة كبيرة من الانقطاع وعادت تتحدث إلى السماء مرة أخرى..

يا رب انت عارف أنا قد إيه ضعيفة قوي، بعدت عن أهلي وقلت انك عوضتني بالنجاح اللي انا وصلت له..

ما كونتش علاقات خالص مع حد بس رزقتني بصديقة أكتر من أخت فبلاش يا رب تبعدها عني، هي هتتجوز بكرة إن شاء الله ربنا يوفقها في حياتها ويا رب الجواز ما ياخدهاش مني عشان أنا فعلًا ماليش غيرها..

أما بالنسبة للوكيميا، فانا عارفة إنك بتحبني، مش انت لما بتحب حد بتبتليه عشان تمتحنه!! أنا عارفة وموافقة إنك تبتليني.. بس يا رب أنا تعبت، تعبت قوي، أنا أضعف من ابتلائك ليَّ، أنا جسمي ما بقيتش أحس بيه من كتر الأدوية اللي باخدها..

حقنة النخاع اللي باخدها في ضهري دي بقت أكتر من احتمالي، يا رب أنا ماليش غيرك في الغربة دي.. خفف عني الألم يا رب وبلاش تبعد يوستينا عني عشان أنا فعلًا ماليش غيرها..

- وانا كمان ماليش غيرك يا جيسي.

فاجأ ذلك الصوت جيسي التي دارت لتصطدم بصديقتها يوستينا.

- يوستينا اِنتِ لسَّا ما نمتيش؟

- ما ينفعش أنام واسيبك زعلانة، باحبك يا جيسي بقى.





- وانا والله العظيم باحبك قوي يا أحلى عروسة في اسكندرية وفي مصر كلها.

تعانقا عناقًا طويلًا، نقل لكل منهما إحساس صديقتها تجاهها ثم ذهبت كل منهما إلى السرير لتأخذ قسطًا صغيرًا من الراحة لمواجهة ذلك اليوم الشاق الذي لا يعلمان ماذا سيخبئ القدر فيه لهما..

* * *

انتهى إياد من تناول طعامه للتو في المنزل، كان يلجأ لطعام والدته الذي يرى فيه تفاصيل الزمن وعطر الماضي وذلك حين يكون مشغول البال..

كان يفكر في علاقته بيسرا، لم تعلق قلبه بها لهذه الدرجة؟

كان يخشى الارتباط فيما مضى، كانت علاقة والديه سببًا في تكوين تلك العقدة، بالإضافة إلى مئات الحالات من المرضى ممن يقابل يوميًّا في عيادته وحالات الانفصال المتكررة والتي زادت تلك العقدة بداخله..

فماذا يفعل الآن، هو لا ينكر تعلقه بيسرا، أخبرها بالأمس أثناء جلستهم سويًّا أنه يخشى الارتباط، تحدث معها للمرة الأولى عن مخاوفه وهواجسه، أراد أن يعترف لها بضعفه لكنه تراجع، خاف أن يعترف لها بأشياء أكثر فيخسر وجودها بجواره، ذلك الوجود الذي أصبح يعني له الكثير، وتلك الشخصية الساحرة التي دخلت حياته وبات لا يعلم إلى أي حد ستصل.

بدأ تناول الغداء بصحبة والدته، حاول التحدث معها عن أحوالها قليلًا.

فمن ناحية يريد أن يطمئن عليها وعلى أحوالها وخصوصًا بعد انشغاله في الفترة الأخيرة بسبب علاقته مع يسرا







و من الناحية الأخرى أراد أن يعطي نفسه فاصلًا صغيرًا من التفكير حتى يستريح ولو قليلًا.

انتهى الغداء سريعًا على غير العادة، وأنهى حديثه مع والدته بسؤالها عن ميعاد ذهابه للعيادة ليجيبها بأنه لا يعمل يومي الخميس والجمعة بالعيادة، تلك الملاحظة البسيطة التي تنساها دومًا ولا يكل من تذكيرها بها..

- يعني هتقعد معايا النهاردا؟. قالت والدة إياد.

- لا يا حبيبتي أنا هانزل بالليل أحتفل براس السنة، ما تيجي معايا.

- آجي فين يا إياد، يا واد أمك ما بقتش قد التنطيط بتاعك دا.

- ما تقوليش كدا يا ست الكل دا اِنتِ أصغر مني، دا احنا نشوف لك عريس بقى.

تلقت والدة إياد تلك الجملة دون رد، فلم تكن وحدها هي من تنسى التفاصيل الصغيرة، فإياد أيضًا ينسى دومًا أن والدته لا تتحمل سماع سيرة الزواج حتى ولو من باب الدعابة، فوالد إياد ما زال حيًّا، حتى وإن كان إياد لم يره منذ سنوات ويعتبر أنه في عداد الموتى، إلا أن الأوراق الحكومية تثبت أن والده ما زال على قيد الحياة..

- اعتذر إياد من والدته، قبل يدها وغادر سريعًا إلى غرفته.

أخرج جيتاره الذي لم يلمسه هو الآخر منذ فترة كبيرة، أغلق باب الغرفة وبدأ بالعزف..







أخرج كل ما بداخله من شحنة بين أوتار صديقه ونغماته، كان اللحن اليوم مختلفًا كثيرًا، لحنٌ لم يستطع إياد التعرف عليه، مزيج من النغمات الغير منتظمة والتي تشبه كثيرًا روح من يعزفها.

انتهى بعد فترة من العزف، ألقى بجسده المتصبب عرقًا على الفراش وبدأ بالتقاط أنفاسه، لم تمر دقائق حتى جاءته مكالمة من صديقه علي الذي يؤكد الميعاد المتفق عليه بعد أقل من نصف ساعة، أغلق إياد الخط وغادر غرفته إلى الحمام ليأخذ حمامًا ساخنًا قبل النزول، فاليوم بعد أن ينهي مشاويره مع صديقه علي سيتجه إلى يسرا حسب الموعد المحدد لقضاء ليلة رأس السنة بصحبتها، متمنيًا أن تكون نهاية الأسبوع ونهاية الشهر ونهاية السنة ما هي إلا بداية في علاقتهم التي يجب أن يحسم أمرها قريبًا..

* * *

استيقظت يوستينا من نومها على كابوس غريب لم تذكر منه شيئًا، تفاجأت بأن جيسي ليست بجوارها، بحثت عنها في أنحاء الشقة ولم تجدها، حاولت الاتصال بها مرات ومرات والنتيجة واحدة، تخرج تلك السيدة ذات الصوت المميز لتعلن "الهاتف الذي طلبته غير متاح حاليًا، من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق"..

ظلت يوستينا على هذه الحالة قرب الساعة، لم تشأ أن تزعج ملاك في ذلك اليوم؛ فهي تعلم كم الضغوط التي تعرض لها في الأيام السابقة من تجهيزات الحفل واستعداداته الشخصية وإنهاء ما تحتاجه الشقة وغيرها.






اتصلت بوالدتها لإضاعة القليل من الوقت وبالطبع وجدتها نائمة، فمن سيستيقظ في حوالي السابعة في صباح يوم كهذا؟

اطمأنت يوستينا أن كل شيء في منزل والدها على ما يرام، أخبرتها أمها أنها ستمر عليها بعد أقل من ساعتين وأغلقت الخط..

حاولت يوستينا إعادة الاتصال بجيسي ولكن النتيجة نفسها في كل مرة.

قامت يوستينا من مكانها وبدأت في تجهيز كوب من القهوة فسمعت صوت المفتاح يتحرك في الباب الخارجي، انفتح الباب لتجد يوستينا صديقتها جيسي وعلى وجهها آثار الإرهاق الشديد.

- جيسي حمد الله ع السلامة، أنا قلقت عليكِ جدًّا يا بنتي اِنتِ كنتِ فين يا بنتي كل دا؟

- ما تقلقيش يا يوستينا أنا كويسة.

- كويسة فين بس، وكنتِ فين كل دا؟

- هاحكي لك أهو بس اهدي يا حبيبتي أنا كويسة مافيش حاجة.

- أحضرت يوستينا كوبًا من المياه لصديقتها التي ازداد للتو صوت دورة الهواء داخل رئتيها، تناولته جيسي.. هدأت قليلًا ثم بدأت بالسرد.

- امبارح بالليل بعد ما نمنا حسيت إني تعبت قوي، قمت آخد الدوا، اكتشفت إن الدوا خلصان.

- يا نهار أبيض، إزاي ما خدناش بالنا من حاجة زي دي.

- ماعلش ما احنا كنا مشغولين في الفرح فعادي ننسى حاجة في النص.







- أنا آسفة، أنا آسفة قوي يا جيسي.

- يا بنتي في إيه ما حصلش حاجة يعني.

- طيب ها كملي عملتِ إيه؟

- الألم بدأ يزيد ومش عارفة أعمل إيه وبصيت لقيت كل الصيدليات اللي جنبنا قافلة وما كانش قدامي غير حل واحد، إني أكلم أحمد.

- كلمتيه؟!

- ما كنتش عارفة اتصرف، وما كانش قدامي حل تاني.. كلمته صحيته وقلت له إني عيانة قوي وفعلًا بعد 10 دقايق لقيته قدامي وهو اللي خدني وداني المستشفى.

- مستشفى!! للدرجادي كان الموقف خطير؟

- ما اعرفش لأني ما كنتش حاسة، أنا أول ما نزلت معاه أصلًا ما حسيتش بنفسي، ما اعرفش إيه اللي حصل بس فجأة لقيت نفسي في المستشفى وهو جنبي.

- طيب الدكتور قال إيه؟

- قال إني ما انتظمتش في جرعة العلاج في الفترة الأخيرة ودا سبب اللي حصل، واني لازم انتظم في الدوا عشان المضاعفات دي ما تتكررش.

- طب وموبايلك كان مقفول ليه يا جيسي أنا كنت هاموت م القلق.

- ما تقلقيش أنا كويسة يا يوستينا، خلصت في المستشفى وأحمد وصلني لحد هنا وروح هو، كتر خيره أنا تعبانة قوي، بس ما كنتش عاوزاه يعرف إني تعبانة.







- يلا الحمد لله يا جيسي حمد الله ع السلامة، خشي ارتاحي بقى عشان تبقي فايقة بالليل ولا مش هتحضري فرحي؟

- لا يا حبيبتي اطمني، الدكتور قال إني هابقى كويسة على الضهر إن شاء الله..

- طيب خشي اِنتِ نامي وانا ماما لسَّا مكلماها وقدامها شوية وتيجي، عاوزاكِ ترتاحي خالص يا جيسي بالله عليكِ

- حاضر يا يوستينا إن شاء الله أنا تمام.

غادرت يوستينا الغرفة وتركت صديقتها جيسي لتنام في سبات عميق.

* * *

أغلقت يسرا الخط بعد مكالمة إياد، تلك المكالمة التي انتظرتها والتي أعلن فيها إياد أنه انتهى من مشاويره الخاصة بصحبة صديقه علي وأنه الآن سيكون جاهزًا في الزمان والمكان المتفق عليه.

بدأت بتبديل ملابسها وارتداء ملابس تليق بالسهرة وذلك حين دخلت عليها شقيقتها غادة:

- إش إش، إيه الحلاوة دي يا سوو

- حلو بجد؟

- آه والله حلو جدًّا، هتقابلي إياد صح؟

- آه، هنروح لونلينس عشان عامل حفلة زي كل سنة






- بس الحفلة المرادي هتكون مختلفة

أغمضت غادة عينًا واحدة في إشارة منها لوجود إياد.

- قصدك إيه يعني؟ قالت يسرا مستهجنة.

- مش قصدي حاجة خالص، المهم حاولي تنبسطي بقى

- ماشي.. اِنتِ بقى رايحة فين؟

- خارجة مع ميتشو.

- ميتشو مين؟!

ارتفعت الضحكات من شفاه غادة التي قالت:

- قصدي هشام يا يسرا.

- آه تمام، طيب خدي بالك من نفسك ولو عُزتِ حاجة كلميني.

- ماشي يا سوو.. باااي.

غادرت غادة الغرفة، تاركة خلفها شقيقتها يسرا التي انتهت للتو من وضع اللمسات الأخيرة في زينتها، أعدت حقيبتها وغادرت الغرفة هي الأخرى للقاء معشوقها الوحيد، فارس أحلامها الذي خطف قلبها، والذي أقسمت له بالأمس أنها لن تتخلى عنه مهما حدث وأنها باتت متأكدة الآن أن ذلك القلب الصغير المحمول بين ضلوعها الواهنة لم ولن ينبض لمخلوق سواه.

أدارت يسرا محرك سيارتها، بدأت بالتحرك في شوارع القاهرة المزدحمة بطريقة لم ترَها من قبل، بدأت تراقب بعينيها العديد من الأزواج مختلفي



الأعمار والمستويات، تبتسم حين ترى آشعة العشق الصادرة من عيونهم، وتتخيل نفسها في أحد هذه المواقف الجريئة مع معشوقها إياد..

وصلت يسرا للكافيه بعد عناء كبير في الطريق فوجدته على طاولتهم الخاصة، مبتسمًا كعادته دائمًا، اقتربت منه مبتسمة هي الأخرى وقالت:

- آسفة جدًّا يا إياد الطريق كان وحش و....

وضع إياد يده على فمها مقاطعًا

- مش مهم، المهم انك جيتِ، وحشتيني قوي.

احمرت وجنتا يسرا لتلك الحركة المفاجئة وابتسمت تلك الابتسامة الساحرة التي تشعل قلب إياد وتملؤه بسعادة غامرة.

* * *

بدأ العد التنازلي للعام الجديد داخل الكنيسة، كان المشهد بالداخل يثير البهجة في النفوس..

كانت يوستينا تتوسط المكان بفستانها الأبيض المرصع بكريستالات صغيرة وعلى يمينها كان ملاك واقفًا ببدلته السوداء الـ " سموكن " و"ببيونه" الأسود، كانوا يرددون بعض الصلوات والدعوات للرب بأن يجعل العام القادم عامًا سعيدًا على الجميع، وأن يرزق العروسين السعادة الأبدية والكثير من الأبناء.







جاء الأسقف ليبارك الزيجة، مسح بصليبه على رأس وكتفي العروسين، ووضع على رأسيهما قطرات من الماء المقدس ودعا الله لهما أن يجمع بينهما على خير دائم وأن يشيبا معًا في سعادة تامة.

ارتفعت بعض النغمات الكنائسية الخاصة بطقوس الأفراح، بدأ الجميع بترتيل بعض الترانيم.. دقائق وبدأ الصوت يقل تدريجيًّا حتى توقف تمامًا ليرتفع صوت عقرب الساعة معلنًا عن نهاية العام وبداية عام جديد..

ارتفعت أصوات الألعاب النارية خارج الكنيسة، وداخل الكنيسة وقفت جيسي بجوار صديقتها يوستينا، احتضنتها بقوة والدموع قد ملأت عينيها..

وقفت بصحبة والدي يوستينا لترتفع بعض الضحكات بينهم، بدأ الجميع بتناول القليل من الطعام والمشروبات الباردة، احتفالًا بالعام الجديد وبتلك الزيجة السعيدة.

بدأت جيسي تجول ببصرها أنحاء المكان فلم تجد أحمد، توقعت أنه بعدما حدث صباحًا لن يستطيع المجيء، لكن مهلًا!! لم لم يتصل أو يقدم الاعتذار..

بحثت عن هاتفها ولم تجده، تذكرت أنها تركته في حقيبتها بسيارة ملاك، خرجت من الكنيسة إلى السيارة وأمسكت هاتفها، وجدت أحمد حاول الاتصال بها أكثر من مرة، كما وجدت رسالة نصية.. فتحتها لتقرأ ما بداخلها..



جيسي.. كل سنة وانتِ طيبة يا أحلى بنوتة في العالم، كلمتك الساعة 12 عشان أقول لك كل سنة واحنا سوا.. بس واضح انك مشغولة قوي مع يوستينا.

آه صحيح اعتذري لها كتير إني ما عرفتش أحضر، غصب عني والله صحيت متأخر وكان لازم أروح الكافيه عشان كان فيه مشكلة في الحفلة اللي عاملينها، هابقى احكي لك التفاصيل بعدين.. بس عاوز أقول لك إنك وحشتيني قوي، وياريت تكلميني لما تشوفي الرسالة..

أغلقت جيسي هاتفها، شعرت بالندم لاتهامها أحمد بالتقصير، أمسكت هاتفها وطلبت الرقم وانتظرت أن يجيب..

ثوان مرت دون رد، أغلقت فيها جيسي السيارة وهمت عائدة إلى الكنيسة مرة أخرى، سمعت صوت بعض الألعاب النارية في الهواء، اقتربت أكثر لتسمع هذه المرة صوتًا أعلى بكثير من أي ألعاب نارية ثم مرت الأحداث على عقلها في أجزاء من الثانية..

صوت انفجار كبير أصاب أذنيها بالصمم المؤقت..

نيران تشتعل في الكنيسة..

أشخاص تصرخ هنا وهناك وتركض بعيدًا ..

وقفت تراقب الموقف دون وعي

انطلقت بعض الشظايا خارجة من الكنيسة..

اقتربت أكثر حتى وقفت أمام الباب صراخ.. صراخ.. صراخ





ثم فجأة توقف كل ذلك..

لم تعد تشعر بما يدور حولها، بعض الصور الهلامية لأشخاص تتحرك هنا وهناك، مزيج من الصراخ والعويل..

ثم لا شيء، لا شيء سوى الظلام..

الظلام الذي يشبه دوامة كبيرة تجذبها للداخل بقوة..

* * *





(5)

1 / 3 / 2011

ثلاثة أشهر كاملة مرت على تلك الحادثة الشنيعة التي عاصرتها جيسي..

ثلاثة أشهر غيرت تلك الحادثة فيهم مسار البلدة وخارطة الطريق..

بدأت الدقائق الأولى للأشهر الثلاثة من العام الجديد والعقد الجديد في القرن الواحد وعشرين من الألفية الثالث بعمل إرهابي، أبسط ما يقال عنه أنه عمل شيطاني، استهدف مجموعة من أقباط مصر في ليلة احتفالهم بأعياد الميلاد في واحدة من أشهر كنائس الإسكندرية بل وأشهر كنائس مصر وهي "كنيسة القديسين"

عمل إرهابي يهدف إلى إحداث خلل في نظام الحكم ونشر الفتنة الطائفية بين أقباط مصر ومسلميها، للإيقاع بالوطن الأم في حوذة الدول المتآمرة والطامعة بنهب ثروات البلاد..

مر الحادث مرور الكرام على أرض الواقع، أعلنت حالة الحداد لفترة زمنية قصيرة، فترة كانت كافية تمامًا في العالم الافتراضي الآخر المسمى بمواقع التواصل الاجتماعي بأن يشتعل معبرًا عما بداخله من الأم وغضب تجاه ما يحدث، حتى وإن لم يكن تفجير الكنيسة قد وجه إليهم ضررًا مباشرًا، لكنه على الأقل كان شرارًا لاشتعال الثورة داخل نفوسهم..






بدأت الصفحات الإلكترونية بنشر أعمال الفساد التي جاءت على مدار ثلاثة عقود من حكم النظام الحالي، الفساد الذي انتشر كاللوكيميا في دماء الوطن في الثلاثين عامًا الماضية، صور التعذيب داخل الأقسام والمعتقلات، الأطعمة المسرطنة والأدوية الفاسدة، والحياة اللا آدمية التي عاشتها فئة كبيرة من طبقات الشعب وأطيافه..

اتفق الجميع من خلال صفحاتهم ومواقعهم أنه حتمًا ولابد أن يحدث ثورة تصحيح، وأن ميعاد تلك الثورة قد جاء، اجتمعوا على قلب رأي واحد دون وجود قائد ما ولأول مرة في التاريخ، أو لعل القائد الحقيقي كانت روح المواطن خالد سعيد شهيد الإسكندرية الذي لقي حتفه على يد أفراد الأمن دون ذنب يذكر، قدم روحه المناضلة فداء لتراب الوطن ليشعل قلوب الثائرين ويقود ثورة تصحيح المسار بروحه وأجساد الثائرين..

اتفق الجميع أن يكون يوم الخامس والعشرين من شهر يناير ميعادًا لانطلاق الثورة تزامنا مع عيد الشرطة المصرية، احتشد الجميع في ميدان التحرير معلنين قيام ثورتهم والتي اعتبرها النظام حركة انقلابية صغيرة سيسهل السيطرة عليها وإخمادها كما يفعلون دائمًا، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك تمامًا، فقد استطاع الشباب الصمود لثلاثة أيام متتالية حتى جاء الميعاد الفاصل..

يوم الجمعة الثامن والعشرين من نفس الشهر يناير لعام ألفين وأحد عشر اليوم الذي سجله التاريخ ب " جمعة الغضب ".






خرجت جميع طوائف وطبقات الشعب المصري متجهيين صوب ميدان التحرير بالقاهرة وصوب جميع ميادين مصر في مختلف المحافظات، طالبين من النظام أن يرحل وأن يسلم السلطة للشعب مستخدمين فيما ذلك شعارات.

" عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية "

كما خرج الفنانون والإعلاميون وجميع المثقفين في البلد تأييدًا لثورة الشعب التي أعلنت أن ثورتهم لن تنتهي حتى يتم تنفيذ مطالب الشعب وتسليم السلطة..

و بعد تظاهرات دامت لثمانية عشر يومًا، راحت ضحاياها المئات من خيرة شباب مصر في عمر الورود، وبعض أعمال الشغب والتخريب كضريبة صغيرة للثورة..

أعلن النظام الحاكم في الحادي عشر من شهر فبراير ويمثله الرئيس " محمد حسني مبارك " تخليه عن منصب رئيس الجمهورية استجابة لمطالب الشعب.

لتعم الفرحة في قلب الثوار في مختلف الميادين، ويسود الحزن في قلب البعض ممن رأوا أن المستقبل سيكون أسوأ مما عليه الآن وأن النظام المعزول حاليًّا كان أفضل بكثير نظرًا لما قدمه على مدار سنوات الحكم وأن القادم هو الفوضى لا محال..

تذكرت جيسي كل تلك الأحداث التي مرت بها البلد خلال الأشهر الثلاثة..







أما ما مرت به هي بعد سماع صوت الانفجار فقد كان مختلفًا قليلًا..

فقد دخلت جيسي في غيبوبة إثر فقد وعيها نتيجة الانفجار دامت لعدة أيام، لتستيقظ بعدها على خبر وفاة صديقتها يوستينا وزوجها ملاك والعديد من الأهل والأقارب..

استيقظت لتجد نفسها طريحة الفراش على أحد الأسرة في مستشفى ما، ويبدو من مستوى الخدمة وعدم وجود شركاء لها بالغرفة أنها في مستشفى خاص، لتعلم فيما بعد أن أحمد الرواي هو من أحضرها لهذا المستشفى العسكرى بشارع مصطفى كامل..

حكى لها ما حدث في تلك الليلة بالتفصيل، حين وجد اسمها في خانة المتصل، فتح الهاتف ليقدم اعتذارًا عن عدم الحضور، لكنه لم يسمع صوتها بل لم يسمع صوتًا بشريًّا من الأساس فقد كان ذلك الصوت هو صوت انفجار كبير ليدرك أحمد أن جيسي في خطر وأنها تطلب منه الاستغاثة..

وصل أحمد إلى الكنيسة أثناء الانفجار ليجد العشرات من سيارات الإسعاف والشرطة التي حاولت منعه من الدخول، كما تعجبوا من السبب الذي قدمه وهو زيارة خطيبته خصوصًا أن بطاقة الهوية الخاصة به لم تكن معه وقتها، لكنه ذكر اسمًا ما جعل الضابط الواقف أمامه ذا النسر على أكتافه ينتفض واقفًا ويسمح له بالدخول بعد التفتيش الذاتي له، معتذرًا لأحمد عن ذلك الإجراء الروتيني الواجب عمله، ليتحكم أحمد في أعماقه جرَّاء تلك



الفعلة البلهاء، فهل لو كان التفتيش بتلك الدقة حقًّا كان استطاع المجرم وضع القنبلة داخل الكنيسة؟!

ليست تلك مشكلته الآن، فقد كان كل تفكيره محصورًا في جيسي، حاول الاستفسار من الحضور عن مكانها ليجيب الجميع بالنفي، لا وجود لها داخل أو خارج الكنيسة، دخل أحمد ليتأكد بنفسه فصعق مما رأى..

عروس في لباسها الأبيض وعريس في بدلته السوداء، لا وجود لرأسيهما وبعض الأطراف.. فقط أجزاء من جسديهما أخفيت بملابس الزفاف المليئة باللون الأحمر..

بدأ أحمد يدعو الله ألا تكون جيسي بالداخل، أخرج هاتفه وطلب رقمها للمرة الألف منذ مكالمتها الأخيرة علها تجيب..

سمع صوتًا على الجانب الآخر من المكالمة لا يشبه صوت جيسي، إنها ممرضة تخبره أن جيسي الآن في أحد عربات الإسعاف الموجودة بالمنطقة..

خرج أحمد من الكنيسة واتجه صوب العربة، لتطمئنه الممرضة أن خطيبته بخير، وأنها كانت خارج الكنيسة لحظة الانفجار، أخبرته أيضًا أنها في غيبوبة إثر الانفجار وأن جسدها أصيب بشظايا تسببت لها في جروح طفيفة لكنها الآن بخير..

شكر أحمد الممرضة، أخرج هاتفه وطلب رقمًا مسجلًا على الهاتف، ذكر نفس الاسم الذي أخبر به الضابط ثم مرت ثوان وكان على اتصال به..

أخبرها أحمد أن ذلك الشخص هو عمه، والذي يعتبر أحمد ولده منذ أن مات شقيقه.. كما أخبرها أنه ضابط ذو رتبة كبيرة في مباحث أمن الدولة







وهو الذي سهل إجراءات نقل جيسي إلى المستشفى العسكري لاستكمال فترة علاجها..

ظلت جيسي في المستشفى عدة أيام حتى استفاقت من غيبوبتها..

أخذت فترة أخرى تحت الملاحظة حتى تتماثل للشفاء تمامًا، كان أحمد يزورها يوميًّا ليطمئن على صحتها، كان يتهرب منها حين تسأله عن صديقتها يوستينا.

أخبرها أنها بخير لكنها مصابة بعض الإصابات، كان يخشى عليها إثر الصدمة وهي في تلك الحال، لكنها وبعد أن تماثلت للشفاء لم يكن أمامه بد من إخبارها، لتدخل غيبوبة من نوع آخر.. غيبوبة فقدت فيها روحها الوعي وكانت مجرد جسد لدمية ماريونيت متحركة بلا أي شعور..

* * *

ثلاثة أشهر مضت منذ اللقاء الأخير بينهما، ثلاثة أشهر مروا على إياد بثقل سنوات العمر الفائتة كلها..

كان متوقفًا عن الذهاب للجامعة نظرًا لبداية امتحانات الفصل الدراسي واكتفى فقط بالذهاب إلى العيادة في المساء ليباشر حالات مرضاه، لكن كانت هناك حالة جديدة يصعب عليه إيجاد علاج لها هي حالة المريض إياد الملواني يعتقد د.إياد أن مريضه إياد يعاني من داء جديد اسمه الحب، ذلك الملعون الذي أقسم إياد ألا يقع فيه يومًا حتى لا تتكرر الأحداث مرة أخرى



ويتولد جيلٌ جديدٌ من إياد الملواني باضطراباته النفسية والعقد التي يحملها بداخله..

لا يذكر سبب انقطاع المقابلات بينهم في الشهر الأول مكتفيين فقط بالمكالمات الهاتفية بين الحين والآخر.

لعل كل منهما كان يفكر في علاقته بالطرف الآخر، يتأكد مرة أخرى أنه على صواب وأنه أراد أن يكمل العمر شريكًا مع نصفه الآخر لتكتمل روحين معًا وينسجم قلبين في مشاعر واحدة.

لم يوشك الشهر الأول على الانتهاء حتى تفاجأ الجميع بقيام الثورة، تم فرض حظر التجوال في مختلف أنحاء الجمهورية، توقفت الكثير من المصالح الحكومية والخاصة.. تم قطع شبكات المحمول والإنترنت مما دعا تلك الشركات إلى إغلاق فروعها مؤقتًا حتى تأتي الأوامر بإعادة بث الاتصال وبالتالي تم قطع كل سبل الاتصال بين إياد ويسرا..

كاد إياد أن يفقد عقله في تلك الفترة، لا يعلم عن يسرا أي شيء.. أيام مرت دون أن يشعر بشيء سوى بإحساس الاشتياق..

يخشى أن يكون شيئًا ما قد حدث لها، سحقًا لذلك الشيء المسمى بالفضول كم يكرهه إياد حين يمتزج بخيالنا الواسع ليرسم لنا صورًا لا حصر لها..

مرت أيام أخرى تم تغيير الساحة السياسية بها، فمنذ أعلن الرئيس استقالته وتسليم السلطه للمجلس العسكري.. بدأت الاتصالات تعود مرة أخرى في البلد واستطاع إياد بعد تلك الفترة السوداء أن يطمئن أخيرًا على



يسرا التي أخبرته بإصابتها بكسر بسيط في الساق أثناء التزاحم على مقرات شركات الاتصالات سيجعلها جليسة الفراش لفترة أخرى قد تصل إلى شهرين..

اكتفى بتلك الفترة الصغيرة التي جعلته الآن متأكدًا أنه يريدها، ليس فقط يريدها، بل إنه لا يريد غيرها شريكة له في المراحل القادمة من حياته..

تذكر إياد كل هذه الأحداث وهو يبدل ملابسه استعدادًا للنزول، دخلت عليه والدته للاطمئنان كما تفعل دائمًا فدار بينهما هذا الحوار..

- إيه يا حبيبي بتلبس كدا ورايح فين؟

- نازل يا ماما، عاوزة حاجة؟

- ما انا عارفة ان انت نازل.. رايح فين يعني، نازل مع علي؟

- لا يا ماما علي هييجي يسهر معايا بالليل زي كل يوم.

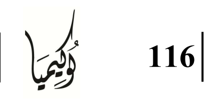
- يسرا!! قالت والدته على مضض.

- أيوة يا ماما يسرا.. فكت الجبس وهانزل اشوفها.

- أنا بس مش فاهمة مين اللي عملت فيك كل دا، أكيد بنت من بتوع اليومين دول.. بنت مستهترة بتتسلى وعرفت توقعك.

ابتسم إياد في أعماقه بعد سماع كلمات والدته، يعلم جيدًا أن يسرا ليست تلك الفتاة، لكنه أيضًا يراعي شعور والدته التي لاحظت التغيير في حياته مما دفعه إلى أن يحكي لها علاقته بيسرا، والتي استهجنتها تمامًا لعدة أسباب.. لعل أهمها كان هو اختلاف المستوى الاجتماعي بينهما فما الذي







يدفع يسرا منصور ابنه رجل الأعمال الشهير نبيل منصور تنساق في علاقة مع إياد الملواني حتى وإن كان من طبقة فوق المتوسطة لكنه لن يصل أبدًا إلى تلك المكانة أو الطبقة التي ستسكنها..

طلبت والدة إياد منه أن يضع حدًّا فاصلًا لتلك العلاقة، ويجب أن يقطع علاقتها تمامًا بتلك الفتاة، لكنه أخبرها أنه سيضع حدًّا فاصلًا لتلك العلاقة قريبًا، فقد كانت الفترة السابقة كافية له ليتأكد من الخطوة القادمة..

قبل إياد رأس والدته محاولًا تهدئة الموقف وغادر المنزل في طريقه إلى لقاء يسرا في لونلينس كافيه كعادتهم دائمًا..

وصل إياد إلى المكان قبل الموعد بدقائق، بدأ ينظر في أنحاء الكافيه الذي شهد لقاءاتهم معًا، يتذكر كلماتهم هنا وضحكاتهم هناك ليبتسم تلك الابتسامة التي تعشقها يسرا..

- مش قلتلك مش هتأخر.. قالتها يسرا لتخرج إياد من شروده.

- وحشتيني.

- وانت كمان وحشتني.

- حمد لله على سلامتك يا سووو " قالها إياد غامزًا لأنه يعلم كم تعشق تلك الكلمة.

- ههههههههههههه الله يسلمك يا إياد.

- اِنتِ عارفة بقالنا قد إيه ما تقابلناش





- آه من ليلة رأس السنة.

- أطول 3 شهور عدو عليَّ في حياتي.

- وانا كمان، عشان الجبس كان مبهدلني خالص.

- ألف سلامة عليكِ من أي وجع.

- إيه بقى كنت عاوزني ليه؟

- إيه يا يسرا الرخامة دي.. في حاجة اسمها كنت عاوزني ليه؟

- مش قصدي يعني بس قصدي......

- هوووووووش، أنا فعلًا عاوزك في حاجة مهمة جات متأخرة شوية بس عشان كنت محتاج أتأكد

- تتأكد من إيه؟

- هو باباكِ بيبقى في البيت امتى؟

- بيبقى موجود كل يوم بالليل، بس ليه؟

- يعني عاوز آجي أشرب معاه الشاي.

- طيب ماشي اتف...، بتقول عاوز إيه؟

- ههههههههههههه ما عندكوش شاي أجيب شاي وانا جاي.

- إياد انت بتهزر صح؟

- لا والله باتكلم جد.

- لا والله بتهزر.



- طيب حددي لي ميعاد مع باباكِ عشان آجي أطلب إيدك.

- يا إياد انت...

- تتجوزيني... قال إياد مقاطعًا.

ساد الصمت بينهما فجأة، كأن المكان تحول فجأة إلى صحراء لا تحوي من البشر إلاهما.. قطع إياد ذلك الصمت بتكرار سؤاله:

- تتجوزيني يا يسرا؟

هزت يسرا رأسها لأسفل معلنه عن استجابتها لطلبه وقالت:

- موافقة

* * *

- ربنا يرحمهم يا جيسي

أخذ أحمد الراوي دفة الحديث لينتشل جيسي من صمتها.

- أيوة، بتقول إيه؟؟

- باقول إيه!! لا دا اِنتِ مش معايا خالص.

- ماعلش يا احمد أنا فعلًا سرحت شوية.

- طيب أنا عارف ازاي أخليكِ تفكي، يا حسين.

طلب أحمد من الجرسون إحضار كوبًا من مشروب معين، غادر النادل للحظات وعاد حاملًا الطلب.

- آدي يا ستي الفرابتشينو اللي بتحبيه.







نظرت جيسي له متعجبة وقالت:

- انت عرفت منين إني باحبه؟

- يا بنتي اِنتِ كل مرة كنتِ بتيجي هنا كنتِ بتطلبيه.

- انت كنت متابعني بقى؟

- يعني حاجة زي كدا، أصل صعب إن حد يشوفك وما يراقبكيش

- اشمعنى يعني؟

- يعني مش عشان بس اِنتِ حلوة وزي القمر، لا عشان كمان كنتِ دايمًا بتيجي تقعدي لوحدك وعلى طول بتبقي سرحانة

- عادي.. وإيه الجديد ما انا طول عمري لوحدي، من أول ما قررت أسيب عيلتي في أستراليا واجي أكمل تعليمي في مصر وانا لوحدي، طول عمري ماليش أصحاب.. حتى البنت الوحيدة اللي كانت أكتر من أختي.. ربنا افتكرها وحرمني إني أشوفها تاني.

- طب وانا يا جيسي؟

- انت إيه يا احمد؟؟

- أنا فين من كل دا، يعني مكانتي عندك إيه؟

- مش عارفة يا أحمد، أنا ما بقيتش عارفة حاجة.

صمتت جيسي قليلًا وأضافت.

- انت صحيح أنقذتني من الموت أكتر من مرة، واستحملتني بكل مشاكلي بس تفتكر انك هتفضل قاعد؟! هتمشي زيهم برضه في الآخر.







- أنا أول مرة أشوفك باليأس دا.. ليه بتقولي كدا؟

- تفتكر يا احمد إنك ممكن تستحمل واحدة زيي بكل العقد اللي فيها، بلاش دي.. انت إيه اللي يخليك تربط نفسك بواحدة عندها لوكيميا، انت فاهم يا احمد يعني إيه لوكيميا؟؟

- أيوة فاهم، يعني واحدة مريضة زيها زي أي حد، كلنا عندنا أمراض نفسية وعضوية كتيرة قوي.

- بس دا لوكيميا، يعني أنا مش هاخلف يا احمد.. انت ليه هتربط نفسك وحياتك بشخصية زيي وانت ألف واحدة تتمناك؟

- عشان أنا مش عاوز من الألف واحدة دول غيرك اِنتِ.. اِنتِ وبس يا جيسي.

بدأت الدموع بالتساقط من عيني جيسي.. وضع أحمد أصابعه على وجنتيها لتجفيفهما قائلًا:

- طب اِنتِ بتعيطي ليه دلوقتي؟

- باعيط عشان ضعيفة قوي، ومحتاجة لك قوي.

- وانا كمان والله العظيم محتاج لك قوي.

- طب اوعدني يا احمد.. اوعدني إنك مش هتسيبني مهما حصل، اوعدني إن عمرك في يوم ما هتزهق مني ولا تكسرني.. أنا مكسورة قوي يا احمد فبلاش تقرب أكتر لو مش هتقدر تحافظ عليَّ..

- أوعدك يا جيسي.







أوعدك يا أحلى وأجمل واحدة شافتها عيني، أوعدك إني أكمل حياتي معاكِ اِنتِ وبس وانتِ اللي هتبقي أم عيالي.. هتتعالجي وهتروحي لدكتور واتنين وخمسين، حتى لو سافرنا برًّا مصر.. لفينا العالم كله.. المهم نبقى سوا

بدأت الدموع تتساقط مرة أخرى فعاجلها أحمد قائلًا:

- أيوة بقى اقعدي عيطي لحد ما الواد سحلول يطلع نكدي زي مامته..

ابتسمت جيسي أثناء بكائها ليتحول وجهها إلى وجه ملائكي.

- باحبك يا ام سحلول..

- وانا كمان يا احمد باحبك قوي والله العظيم.

* * *

كان المكان أشبه بقصور الملوك في العهد العثماني، يتكون القصر من دورين يربطهما سلالم داخلية حلزونية، النجف البلوري الكبير، والأنتيكات الأثرية القديمة التي تعود بنا إلى المسلسلات التاريخية القديمة..

لولا أننا الآن في القاهرة وتفصلنا أميال عن قصري المنتزه ورأس التين بالإسكندرية، لجزمت أننا الآن في أحد قصور الملك فاروق، فلا يعقل أن تكون تلك البناية مملوكة لشخصٍ عادي..

مهلًا هل قلت عاديًّا؟! لا لم يكن مالك القصر شخصًا عاديًّا.. بل كان واحدًا من أهم رجال الصناعة في مصر، عصبًا من أعصاب البلد ممن يطلق عليهم لقب " الحيتان "، وعلى الرغم من أن الثورة أطاحت بالكثير من رجال النظام السابق إلا أن نبيل منصور ظل في مكانه الاقتصادي الثابت ولم







يتأثر؛ فقد كان بالحنكة الكافية لتغيير جلده مع كل نظام تمامًا كما تتلون الحرباء مع تغير لون الأرض تحتها..

كان القصر ساكنًا تمامًا إلا من حركة بسيطة لأحد الخدم حاملًا أحد المشروبات ليقدمها للضيف الذي يتوسط الصالة الرئيسية..

لم يكن ذلك الضيف الجالس وحيدًا إلا إياد الملواني، جاء في الميعاد الذي أخذه من نبيل منصور عن طريق ابنته يسرا طالبًا يدها كعروس له..

ظل إياد وحيدًا لفترة صغيرة حتى دخلت يسرا وألقت عليه التحية:

- إزيك يا مجنون

- إزيك يا حبيبة المجنون

- انت متأكد يا ابني من اللي انت بتعمله؟

- آه طبعًا متأكد جدًّا

- بص أنا حكيت لبابا كل حاجة وهو مرحب جدًّا، بس عاوزاك واثق من نفسك زي ما انا متعودة عليك

- طيب حاضر ما تقلقيش، بس لو سألني شفتها فين أقول له إيه؟

- أنا قلت له إنك شُفتني في الفرح وسألت عليَّ لحد ما عرفت أنا مين وانك جاي تتقدم لي النهاردا..

- تمام فهمت.

- طب بس بس عشان بابا نازل اهو.

ظهر نبيل منصور على بداية الدرج، تمامًا كما نراه في وسائل الإعلام والجرائد قصير نسبيًّا والشعر الأبيض يزين رأسه إلا أنه يبدو الآن أكثر سمنة مما يبدو في الوسائل الإعلامية.








وصل نبيل إلى الصالة ليجد إياد واقفًا لمصافحته، صافحه نبيل.. أخرج سيجارًا من ماركة غالية وبدأ في جذب أطراف الحديث..

- يسرا قالت لي إنك عاوزني في موضوع مهم، خير.

بدأ نبيل كلامه مقتضبًا، يعلم إياد جيدًا هذه النوعية من البشر وكيف يتعامل معهم، كما أن هناك الكثير من أمثال نبيل مرضى نفسيين ومنهم من يعالجه إياد شخصيًا في السر بعيدًا عن أعين الإعلام.

- مظبوط يا عمي، أنا جاي عشان أطلب إيد يسرا.

تجاهل نبيل كلام إياد وأخذ يشعل سيجاره مرة أخرى ثم قال:

- طيب وهو اللي ييجي يتقدم لعروسة ييجي بطوله كدا، مش المفروض فيه أصول للحاجات دي.. فين والدك، والدتك؟

- أنا عايش مع والدتي بس، والدي ووالدتي منفصلين من سنين وما اعرفش عنه أي حاجة.. ووالدتي كانت جاية بس حصل لها حادثة بسيطة كدا ورجليها اتكسرت..

- يعني ما فيش قرايب ييجوا معاك؟!

- حضرتك أنا بنيت نفسي بنفسي واظن إني مش محتاج حد منهم معايا دلوقتي وان شاء الله هيبقوا موجودين كلهم واحنا بنقرأ الفاتحة.

- على فكرة يا بابا إياد عصامي برضه زي حضرتك.. قالت يسرا مقاطعة.

- مفهوم مفوم.. قالها نبيل وأضاف:

طيب احكي لي عنك شوية يا إياد.






- أنا إياد الملواني عندي 30 سنة أستاذ مساعد في كلية الآداب قسم علم النفس في جامعة القاهرة، عندي عيادة طب نفسي باشتغل فيها بعض الضهر، عايش مع والدتي زي ما حكيت لحضرتك وعندي شقتي ورصيد كويس في البنك غير مرتبي الجامعي ودخل العيادة..

- شوف يا أستاذ إياد كل الكلام اللي انت بتقوله دا على عيني وعلى راسي، بس الجواز مش بالسهولة اللي انت فاهمها دي، انت طبعًا عارف أنا مين؟

- طبعًا يا افندم نار على علم.

- كويسة الجملة دي، طيب تفتكر بقى أنا إيه اللي يخليني أدي بنتي الكبيرة لواحد زيك انت.. حالته المادية متوسطة أو أقل، اسمح لي يعني لا مرتب الحكومة ولا حتى دخل العيادة يسمح لك إنك تعيش بنتي في المستوى اللي هيَّ فيه.

صمت نبيل قليلًا وأضاف:

- انت عارف أنا مش هاقول لك زي الأفلام شوف يسرا بتاخد مني مصروف كام غير مرتبها، لأن تقريبًا الرقم ممكن يصدمك، بس انت تقدر تعيشها في نفس المستوى اللي هي عايشة فيه؟

- أيوة يا عمي بس الفلوس مش كل حاجة.. قال إياد غاضبًا.

- لا اسمح لي يا دكتور الفلوس هي كل حاجة، معاك فلوس تعيش ملك، ما فيش فلوس يبقى تعيش زيك زي ملايين البشر، نسخة مكررة من المواطن الروتيني، أنا مش عاوزك تنصدم لأن دي الحقيقة وبعدين انت كمان بتقول لي إن والدك ووالدتك منفصلين صح؟

- صح.







- وبتدرس علم نفس صح؟؟

- صح.

- طيب يا دكتور أنا هاكلمك بلغتك انت وفي صميم مهنتك، تفتكر واحد زيك عنده مشاكل اجتماعية ونفسية وأكيد جواك اضطرابات نفسية كتير، أنا آه مش دارس علم نفس زيك.. بس انا اتعاملت مع بشر بعدد شعر راسي ومع احترامي بقى للدراسات الأكاديمية والدكتوراه بتاعتك فانا إيه اللي يخليني أدي بنتي لواحد مليان عقد زيك؟

نظر إياد إلى عيني نبيل دون امتلاك القدرة على الرد، فلأول مرة في حياته يدخل أحدهم إلى تلك المنطقة السوداء في أعماق نفسه ليفتحها كما فعل نبيل، ظن أنه يستطيع أن يخفي تلك الحقائق وراء شبح الابتسامة وزي الطبيب لكنه الآن مضطر ليواجه تلك الحقيقة التي هرب منها لسنوات..

- ع العموم يا دكتور شرفتنا وابقى سلم لنا على الست الوالدة.

قالها نبيل لينهي الحوار ثم غادر الصالة دون أن يصافح إياد هذه المرة أيضًا، بينما تمنى إياد أن تبتلعه الأرض الآن، مما دفعه إلى مغادرة المكان سريعًا دون حتى أن ينظر لعيني يسرا المليئة بالدموع..

وصل إياد إلى منزله بعد عناء شديد، يرفض عقله تصديق ما حدث في الدقائق الماضية، فقد كان والد يسرا محقًّا في كل حرف قاله.

أخبر والدته بما حدث في ذلك اللقاء لتكمل عليه هي الأخرى بوابل من السخرية والتشفي؛ حيث أنها أخبرته قبل أن يذهب أنها غير راضية عن تلك الفتاة وعن الزيجة بأكملها..







شعر إياد أن رأسه تدور، لا يرى أو يسمع شيئًا.. ثوان ثم سقط مغشيًّا عليه لتبدأ والدته في محاولات إفاقته وبعد يأس تام طلبت صديقه علي الذي جاء سريعًا وأخذ صديقه إلى الطبيب تاركًا والدته في حالة يرثى لها..

* * *

كان الأمر في غاية الصعوبة على جيسي، تحد جديد لم تقو على مواجهته وحدها دون اللجوء إلى من يمد لها يد العون..
سابقًا كانت تلجأ لصديقتها يوستينا لتشاركها الفكر وتساعدها في اتخاذ القرار، أما الآن لم تعد تملك ذلك الخيار..
غادرت جيسي غرفتها وقررت أن تلجأ لمنقذها الأول وملاذها الأخير، على الرغم من أنها كانت ترفض الدخول، إلا أنها قررت ذلك الآن كما قررت ألا تخرج إلا بجواب نهائي على سؤال أحمد لها..
اقتربت جيسي من باب الشرفة حاملة معها ذلك الكوب الكبير المملوء بالقهوة منزوعة السكر، وضعت يديها على قبضة الشرفة لتصطدم أناملها بكمية كبيرة من الغبار الذي تطاير على ملابسها حين فتحت الباب..
دخلت جيسي وجلست على الكرسي الذي هجرته منذ مدة وفي رأسها الآلاف من الأفكار، وكأنها أرادت أن تعوض فترة غيابها بتلك الأفكار التي لا حصر لها..
بدأت حديثها مع ربها تحكي له تفاصيل الأشهر السابقة من حياتها والتي تعلم أنه يعرفها جيدًا، لكنها وبطريقة ما كانت تشعر براحة نفسية حين تعيد سرد تلك الأحداث أمامه مرة أخرى وبطريقة مباشرة..

مش عارفة ابدأ منين.. بدأت جيسي حديثها هكذا.

أنا عارفة يا رب ان عمرك ما هتبعت حاجة وحشة.. يعني انت ساعات بتبتلي المؤمن، تبعت له مشكلة صغيرة عشان يفتكرك، عارفة انك لما بتحب حد قوووي بتبتليه.. عشان لو غفل شوية أو بعد عنك يرجع تاني لصوابه..

أنا عارفة انك بتحبني، ما هو لو ما كنتش بتحبني ما كنتش ابتليتني..

صحيح هو الابتلاء كبير شوية، بس انا متأكدة إنك بتخفف عني بيه عذاب أكبر.. زعلان مني صح؟

ليك حق تزعل.. أنا مقصرة قوي في حقك، حتى بقالي كتير ما جيتش وقعدت القعدة دي عشان اشتكي لك، ما انت عارف وشايف..

أنا مش هاسألك عن يوستينا، ولا هاسألك خدتها مني ليه؟

أنا بس عاوزة اسأل سؤال واحد.. هي كويسة؟

يا رب أنا مش عاوزاها تتعذب، يوستينا طيبة قوي صدقني، انت أكيد عارف دا ومتأكد أكتر مني..

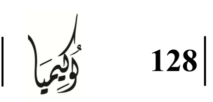
يا رب لو كان عذابي دا كله عشان تحقق لي طلب واحد، فالطلب دا انك تجمعني بيها في الجنة..

عاوزة أشوفها زي آخر مرة شُفتها فيها.. عروسة في الفستان الأبيض، والاقيها بتضحك لي..

هتجمعني بيها مرة تانية صح؟

مش هاسألك تاني عشان انت عالم بالنوايا، وحاسس باللي جوايا..







أنا بس فيه حاجة كمان مهمة عاوزة أقولها لك..
أنا تعبانة قوي، لا لا والله مش باشتكي.. أنا بافضفض بس..
كنت عند الدكتور باخد حقنة النخاع بتاعتي، والدكتور الرخم أبو ضحكة صفرا دا قال لي إن ما فيش أي تحسن في حالتي..
فكرت كتير إني أوقف الدوا، بس ما قدرتش..
جايز عشان خايفة لو مت ما ابقاش انتحرت، أو جايز لسَّا في جوايا حاجة عايزة تعيش.. أنا مش عارفة إيه الحاجة دي بس هي أكيد موجودة..
حاجة مخلياني باحب الدنيا ومتمسكة بيها رغم كل الألم اللي باحس بيه..
تفتكر إيه الحاجة دي، أحمد مثلًا؟
ما انا كمان مش عارفة يا رب هو متمسك بيَّ ليه..
يعني واحدة عندها لوكيميا.. مش بتخلف.. أكيد فيَّ حاجة لقطة يعني.
صدقني أنا مش عارفة هي إيه الحاجة دي.. بس يا ريت تكون موجودة، عشان لو مش موجودة يبقى أكيد هو واقف جنبي من باب الشفقة..
ع العموم أنا قلت أعرفك وانت أكيد هتكتب لي الخير ودي حاجة أنا مش شاكة فيها..
آخر حاجة بقى.. ماعلش استحملني أنا رخمة شوية..
بس فعلًا أنا ماليش غيرك أشكي له واتكلم معاه..
بالنسبة لأهلي بقى.. طبعًا هم مش عارفين إن عندي لوكيميا زي ما قلت لك، لما فُقت من الغيبوبة لقيتهم بيطمنوا عليَّ.. طمنتهم الحمد لله، والمفروض بقى إنهم هينزلوا عشان هنشوف موضوع الخطوبة دا..







أيوة طبعًا حكيت لهم، انت يرضيك إني أخبي عنهم حاجة زي دي؟!

لا هو بابا قال لي اعملي اللي يريحك وطالما هو كويس خلاص.. فهينزلوا بقى يقضوا معايا كام شهر وان شاء الله هنعمل فيهم الخطوبة والفرح..

آه أصل أنا واحمد مقررين ما نطولش قوي في الخطوبة، عشان لو مت أكون اتجوزت حتى ع الأقل..

بتضحك.. عندك حق، هو كمان ضحك اما قلت له كدا بس نعمل إيه.. ماحدش ضامن عمره!!

انتهت جيسي من حديثها مع ربها، نظرت للسماء نظرة أخيرة مصحوبة ببعض القطرات المنسكبة من جفنها، تلك القطرات الصغيرة التي تخرج ما في أسوارها وتغسل روحها..

تركت كوب القهوة الذي لم ترتشف منه شيئًا، قررت ألا تشرب الليلة أيًّا من منتجات الكافيين، فبعد هذه الجلسة الطويلة التي نقت فيها روحها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.. تحتاج إلى احتضان سريرها لفترة طويلة، لتخلد في نوم عميق لم تذقه منذ أيام، وتحاول استعادة القليل من نضارتها التي أضاعها الزمن..

* * *







خرج إياد من منزل يسرا بخفي حنين تاركًا خلفه يسرا التي لا تعرف ماذا تفعل الآن!!

أصبح الموقف الآن في غاية الصعوبة.. كان رفض والدها لإياد أمرًا لم يكن في الحسبان، حيث توقعت أن والدها سيقبل بالعريس الذي لا ترى فيه عيبًا واحدًا، أو على الأقل سيؤجل قراره حتى يتناقشا معًا ويصلا إلى اتفاق موحد، وذلك كان أسوأ تقدير في مخيلتها ولم تعرف أن الإجابة ستكون صارمة وبهذه الصراحة..

- لأ يعني لأ.. قال نبيل غاضبًا.

- لأ ليه يا بابا؟!

- هو دا بقى البيه اللي مخليكِ ترفضي كل العرسان.. بقى عندك خمسة وعشرين سنة ولسَّا مش قادرة تميزي مصلحتك فين!!

- يا بابا اسمعني بس....

- أسمع إيه... بدأ نبيل برفع صوته بدرجة أكبر معبرًا عن احتجاجه لحديث ابنته ورافضًا النقاش حول ذلك الموضوع.

- يا بابا لازم تسمعني.. بدأت الدموع تتساقط من عيني جيسي وأضافت:

انت ليه مش قادر تفهم، ليه عاوزنا كلنا نبقى عرايس متحركة وانت اللي في إيدك الخيط.. من وانا صغيرة وانت بتتحكم في كل حاجة في حياتي.. مش مكفيك إني اتحرمت من ماما بسببك.. لأ كمان عاوز تكمل ظلم فيَّ







كانت الكلمات تخرج من شفتي يسرا لتشعل النيران في قلب والدها نبيل، الذي بدا مذهولًا من جراءة ابنته، حيث لم تكتفِ بتلك القذائف التي أطلقتها للتو بل أنها قالت أيضًا ما لم يكن يومًا في الحسبان، والذي اعتقد نبيل أنه بداية لشرخ كبير، شرخ سيقضي على لمعان اللوح الزجاجي بينه وبين ابنته وسيجعل العلاقة بينهما قابلة للكسر.. كلمات لها مفعول السرطان.. تنتشر بخبث بين خلايا الجسد ولا يتم اكتشافها إلا مؤخرًا بعد أن تقضي على كل ما هو حي في العلاقة الأبوية بينهما..

انت فاكرنا مصدقين إن هشام دا عريس مناسب، ولا انت سايب بنتك تروح وتيجي معاه عشان سواد عيونه، ما انا وهي عارفين كويس قوي هشام دا يبقي ابن مين، وعارفين إنهم لو اتجوزوا يبقى دا فيه مصلحة ليك انت..

مصلحة يعني فلوس.. فلوس فلوس في كل حاجة، احنا بقينا بالنسبة لك استثمار، العربيات واللبس الغالي وكل دي مظاهر عشان يبقى شكلنا حلو في الفاترينة.

وزيك زي أي صياد شاطر، بترمي الطعم وتستنى لحد ما تطلع بالصيد الكبير

براڤو يا نبيل بيه، ولا أقول لك يا حضرة المدير زي ما بيقولوا لك في الشركة، ولا اقول لك يا بابا.. بابا اللي عمره ما سألني أنا عاوزة إيه ولا نفسي في إيه..

بابا اللي كان بيديني فلوس عشان يحسسني إني كاملة ويعوض النقص اللي كان جوايا من يوم ما ماما ماتت..



أنا آسفة يا بابا، أنا مش هابقى سلعة ليك تاني.. وكفاية إن عندك غادة أهي، صنارتها غمزت وجابت لك عريس على طبق من دهب.. يزود حجم استثماراتك ويزود الملايين الكتير قوي اللي في حساباتك..

آخر حاجة هاقولها لك إنك بسبب الثورة كنت هتخسر كل حاجة في يوم وليلة، نفسي لو خسرت كل حاجة ع الأقل تكون كسبتنا إحنا مش كسبت من ورانا..

صمتت يسرا بعدها قليلًا أمام والدها الذي لم يملك شيئًا ليقوله..

صعدت إلى غرفتها.. وأغلقت بابها..

حاوات الاتصال بإياد مرات ومرات والنتيجة واحدة، صوت السيدة المسجل الذي يخبرها أن الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا..

لولا أنها تعرف الهوية الحقيقة لصاحبة الصوت من واقع العمل بنفس الشركة، ومعرفتها أن هذا الشريط مسجل؛ لقامت الآن وذهبت إلى مقر الشركة لشج رأس تلك الحمقاء التي تجعلها الآن جاهلة حقيقة ما يحدث في حياة إياد، وتجعلها تبدو كالتائهة التي لا تعلم شكل الطريق القادم في حياتها..

* * *





(6)

2011 / 5 / 5

أوقفت يسرا سيارتها في الشارع الرئيسي لعدم تمكنها من المضي أكثر من ذلك نظرًا لصغر عرض الطريق المؤدي إليها..

قهوة حودة أو حمودة كما وصفها لها على وصفٍ دقيقٍ وكما أخبرها أنها ستجد إياد يجلس هناك في مثل هذا الوقت من كل يوم، عادته في الفترة السابقة مذ خرج من منزل يسرا بخفي حنين مصابًا بأمراض نفسية كثيرة يحاول التخلص منها بطرقه الخاصة..

مرت الفترة على كل منهما من أصعب ما يكون؛ فإياد قد تغيرت أحواله بالكامل بعد ذلك اللقاء.. لم يعد يقوى على مواجهة الحياة وخصوصًا بعد الزيارة الصغيرة التي قضاها في المشفى بدءًا من ليلة الحادث الأسود في تاريخه ولمدة ثلاث ليال..

أما عن يسرا فلم تكن بالحال الأفضل منه، فقد قضت هي الأخرى فترتها السابقة شبه منعزلة تمامًا عن العالم الخارجي.. ولولا أنها لم تنقطع عن العمل لكاد المرء يجزم أنها منعزلة بالكامل عن كل وأي شيء أو شخص قد يدخل دائرة تفكيرها..



قضت تلك الفترة في خلاف كبير بينها وبين والدها بعد الحديث الأخير الذي أذاقت فيه والدها القليل من العلقم الذي كانت تحمله بين طيات نفسها ولا تستطيع البوح به، حتى ولو انفجر إناء النفس بالقليل بما يحمل تكون النتيجة كما حدث بالضبط.. انقطاع العلاقات تمامًا بينها وبين والدها..

تذكرت يسرا كل ذلك وهي داخل تلك الحارة الضيقة التي ستقلها – حسب الوصف – إلى قهوة حمودة، تمنت أن تجد إياد هناك كما أخبرها علي سابقًا؛ وإلا فهي لا تعلم ماذا ستفعل مستقبلًا حتى تصل إليه.. فقد أفنت أيامها الأولى في اتصالات هاتفية لا تختلف نتائجها عن تلك التي كانت في الليلة الأخيرة بينهما، ذلك الصوت الذي أصبح عدوًا لدودًا ليسرا، وتلك السيدة المعلنة في كل مرة أن الهاتف ربما يكون مغلقًا في رسالة بلهاء باتت تكرها يسرا للغاية..

استمرت يسرا في طريقها وهي ترى ذلك المكان الصغير للغاية الذي تعتقد أنه مقصدها، رفعت عينيها لتلمح تلك اللافتة الكبيرة ذات الأحرف المتآكلة من فعل الزمن والتي تحمل الاسم المقصود " قهوة حمودة "

إذن فالوصف الذي قدمه لها علي كان دقيقًا حقًّا، واستطاعت من خلاله أن تصل إلى مقصدها الأول وهو تلك القهوة التي أخبرها بها علي بعد أن لجأت له يسرا أخيرًا عله يستطيع إخراجها من تلك الحالة البائسة التي وصلت لها وعله أيضًا يرحم عقلها من تلك الهلاوس والخيالات التي كانت ترسمها يوميًّا..







وصلت يسرا إلى القهوة وكل العيون مسلطة عليها بالكامل، فليس من الطبيعي أن توجد تلك الفتاة الساحرة ذات الشعر الكستنائي والعيون الزرقاء في مثل ذلك المكان، لذا فالجميع كان يرصد حركاتها بعينه.. أما عن عينها هي فقد كانت تهرب بين الطاولات باحثة عن ملامح أخرى، ملامح الشخص الذي لا تعلم كيف تشكلت روحه بعد ذلك الغياب!!

واصلت يسرا البحث دون ملل حتى وقعت عينها عليه، ذلك الخمري الذي كانت تعشق تفاصيله، احتاجت إلى ثوان أخرى للتأكد هل كان هو أم لا..

فربما هو شخص آخر يتشابه معه في الملامح، هل كانت تلك اللحية هي السبب؟ أم أنها تلك الدوائر السوداء التي تغطي جزءًا كبيرًا من مساحة تجويف العين!!

اقتربت يسرا منه دون أن يلحظها، سحبت كرسيًّا من الطاولة المجاورة ثم جلست وبدأت في الحديث..

- وحشتني

انتبه إياد من غفلته على ذلك الصوت الذي افتقده كثيرًا، هل كانت هي حقًّا؟

- يسرا!!

اِنتِ هنا من إمتى؟! وإيه اللي جابك هنا؟! وعرفتِ عنواني هنا ازاي؟

- كلمت على وهو اللي اداني العنوان.

- علي!! قال إياد مستهجنًا.






- آه علي يا إياد.. علي صاحبك اللي انت من يوم ما خرجت من المستشفى ما قعدتش معاه ولا مرة

- جيتِ ليه يا يسرا؟

- ما انا قلت لك، وحشتني يا إياد.

- وانا لسَّا جاي أوحشك دلوقتي!!

- لا يا إياد ما وحشتنيش دلوقتي، انت من يوم ما خرجت من عندنا وانا مش بابطل أفكر فيك.. كلمتك بدل المرة ألف كنت بالاقي تليفونك مقفول.

- والمطلوب مني دلوقتي؟

- هو فيه إيه يا إياد؟ انت بتعاملني كدا ليه كأني أنا المذنبة، أنا لو فيه حد تعبان فهو أنا مش انت.. انت مش عارف إيه اللي حصل لي من يوم ما انت خرجت من عندنا، أنا اتخانقت مع بابا قلت له كل حاجة كان نفسي أقولها له، قلت له كمان إني موافقة اتجوزك حتى لو هنعيش في كوخ ما دام هنبقى سوا..

- حلوة التضحية دي وهو وافق عادي كدا؟

- هو فيه إيه يا إياد؟! أنا عاوزة أعرف أنا ذنبي إيه.. أنا اتفاجئت من اللي حصل زيك... بدأت الدموع تتساقط من عيون يسرا وقالت:

أنا مش فاهمة هو رفض ليه.. هو عاوز يبعدني عنك ليه، إياد أنا باحبك.. أنا عاوزة أكمل حياتي معاك انت.. أحلف لك إني مش هاسيبك ولا هاتخلى عنك عشان أنا حياتي ممكن تقف بالكامل لو انت مش فيها..




نظر إياد لها للمرة الأولى هذا المساء، نظرة تخلو من أي نوع من المشاعر.. صمت قليلًا ثم قال:

- يسرا، احنا لازم نسيب بعض.

- نعم.. قالت يسرا في عدم تصديق.

- باقول لك احنا لازم نسيب بعض.

نظرت يسرا لإياد دون أن تدري ماذا تفعل، كانت تتوقع لقاءً من نوع آخر، توقعت أنه سيضمد جراحها على أسوأ تقدير لكن في الحقيقة تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. خصوصًا في مثل هذه الحالات.

* * *

وصلت جيسي إلى المسرح في الموعد المحدد لعمل بروفة لمسرحيتها الجديدة، كان قرار عودة جيسي إلى المسرح مرة أخرى قررًا صعبًا، يحتاج إلى الكثير من التفكير..

فكرت كثيرًا في مسرحية العودة، لا بد أن تعود بقوة، ليكن غيابها مبررًا لدى جمهورها الذي كان ينتظر تلك المسرحية بفارغ الصبر..

قضت جيسي الأيام السابقة بصحبة أحمد للتفكير في أمر المسرحية، كانا يجتمعان سويًّا لوضع الأفكار والنصوص المحتملة، فاجأها أحمد بقدرته الفائقة على صياغة الأفكار.. أبهرها بمعرفته بمختلف الآداب والفنون، كان أحمد يخرج دائمًا من صندوق الروتين إلى ساحة الإبداع لينتج جيلًا من الأفكار لم تعتقد جيسي يومًا بوجودها - حتى ولو اعتقدت – فلم تعتقد أن



أحمد الراوي رجل الأعمال الشاب وصاحب سلسلة فروع لواحد من أكبر التوكيلات التجارية في الإسكندرية سيكون بتلك الروح الأدبية الساحرة..

اختلفا كثيرًا واتفقا قليلًا، لكنهما لم يصلا يومًا إلى الاتفاق المرضي بالكامل لكلا الطرفين.. ظلا على هذه الحال مدة حتى خرجت جيسي عن صمتها بعد يومين لتصيح بمعرفتها للفكرة الجديدة والتي قابلها أحمد بترحاب مقنن وحذر شديد في نفس الوقت!!

انتهت جيسي من إعداد عرائسها الجديدة، تأكدت أن أنظمة الإضاءة تعمل بكامل كفاءتها.. أجهزة الصوت.. السيور الحاملة لعرائس الماريونيت، كما تأكدت أن أحمد يجلس في الصف الأول كما طلبت منه، ليكون عونًا لها في العرض الذي هو بمثابة تحد كبير لها في وجود ذلك الكم الهائل من الجمهور المتعطش لمسرحيتها الجديدة..

نظرت جيسي للعامل المختص وأعطت إشارة البدء.

بدأت الموسيقي تعمل في الخلفية لمقطوعة عالمية شهيرة تسمى " قداس الموت "، فتحت الستارة تدريجيًّا على الديكور..

مبنى صغير يقع في يمين المسرح حاملًا أعلاه مئذنة، وآخر يقع على اليسار حاملًا الصليب.. مع شاشة إلكترونية مضيئة في المنتصف يظهر فيها حركة أمواج البحر..

لو كنت من سكان الإسكندرية لعلمت جيدًا أن ذلك الوصف ما هو إلا الوصف التفصيلي لكنيسة القديسين.. ولو كنت تجلس في أقصى يمين المسرح لرأيت الصليب وهو يعانق الهلال في لقطة إنسانية حقيقية يراها







أهل الإسكندرية يوميًّا وخصوصًا من سكان منطقة سيدي بشر لتكون آية للجميع ليروا كيف أن الأديان تتعانق معًا تحت سماء الخالق..

بدأ صوت المقطوعة الموسيقية ينخفض تدريجيًّا إلى أن سكن، ظهرت على المسرح دمية لعروسة ترتدي فستان الزفاف الأبيض قائلة:

النهاردا يوم جميل، أحلى يوم في حياتي.. أصلي النهاردا خلاص هاتجوز حبيبي جورج، آه ماعلش نسيت أقول لكم أنا مين.. أنا إيزيس ودا عريسي جورج.

ظهرت على المسرح دمية أخرى لرجل يرتدي بدلة سوداء وقال:

- إيه يا إيزيس يا حبيبتي.. مش يلا بقى عشان القداس هيبدأ دلوقتي.

- يلا يا جورج

غادر جورج وإيزيس خشبة المسرح في ثوان ليظهر ثلاثة دمى أخرى على المسرح اثنتان منهما يملكون لحية كبيرة وأحدهما أملس..

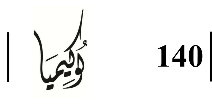
قال الرجل ذو اللحية الكبيرة موجهها خطابه للرجل الأملس..

أبشر يا عبد الله، التنفيذ كمان ساعة عند كنيسة القديسين.. اربط الحزام كويس حوالين جسمك، جسمك اللي بعد ساعات هيكون في الجنة إن شاء الله.

يا مولاي دا شرف كبير قوي إنك اخترتني دونًا عن باقي الإخوة عشان أنال الشهادة، بس لو حصل ظرف وما عرفتش أفجر نفسي أو اتمسكت.

لا تخف يا عبد الله، إحنا بنحارب الكفار وإن شاء الله ربنا هينصرنا.. يلا اذهب انت واغتسل وتطهر عشان نجهزك للرحلة الأخيرة على الأرض.







غادر عبد الله المسرح وظل الرجلان سويًا فصاح الرجل الصامت منفعلًا:

يا مولاي.. انت ليه اخترت عبد الله تحديدًا، مع إني أقدم والمفروض أنا اللي انول الشرف دا.. أنا الأقدم في الجماعة وانا الأحق بالشهادة.

يا اسماعيل دي أوامر بتجيلنا واحنا علينا التنفيذ بس، ادعِ لأخيك عبد الله إن ربنا يوفقه في العملية اللي هيقوم بيها دي، وروح دلوقتي عشان تجهز الحزام الناسف..

غادر اسماعيل المسرح هو الآخر امتثالًا لأوامر الأمير.

بقي الأمير وحده في المسرح فحدث نفسه قائلًا:

أغبيا، كلهم أغبيا.. هو لو الحزام دا هيودي الجنة كنت انا سِبته يروح من إيدي، ولا انا هافضلهم عن نفسي هههه.

ارتفعت صوت ضحكات شريرة في الخلفية معلنة عما يدور داخل نفس مولانا الذي غادر المسرح هو الآخر.

- أحمد.. يلا يا احمد هنتأخر على فرح إيزيس.

ظهرت دميتان على المسرح لرجل وامرأة قالت تلك الجملة وأضافت:

- يلا يا احمد انت دايمًا مأخرنا كدا، وبعدين الكنيسة لسَّا بعيد.

- حاضر يا فاطمة باخلص اهو.

ظهر على المسرح عدد كبير من العرائس يتقدمهم عروستي إيزيس وجورج، أحمد وفاطمة..

بدأت أصوات تخبط الكاسات والأغاني السريعة ترتفع في الخلفية..



أصوات الضحكات لإيزيس وفاطمة

استمر هذا الوضع قرابة العشر ثوانٍ حتى جاء الموعد ومر كل شيء بعدها بسرعة جنونية.

اختفت الموسيقى الصاخبة في الخلفية، دمية عبد الله تظهر على المسرح بلون أصفر، اقترب من الدمى في المنتصف.. هتف عبد الله قائلًا الله أكبر..

صوت انفجار كبير مصحوبًا بضوء أحمر يغطي المسرح.

ثم الصمت.. الصمت الذي أعلن انفجار الحزام وموت الجميع.

اختفت فجأة كل العرائس من على المسرح..

ظهرت على الشاشة لقطات حقيقية لجنازة ضحايا كنيسة القديسين..

كتبت في نهايتها..

الإرهاب لا يفرق بين مسلم أو مسيحي، الإرهاب هو الإرهاب.

" الإرهاب لا دين له "

كنيسه القديسين 31 -12 -2010

انطفأت الأنوار كلها دفعة واحدة، ارتفع صوت الهتاف بطريقة جنونية كادت أن تكسر حواجز الصوت، صفير وتشجيع هنا وهناك لذلك العرض الخرافي الذي سيحفر في ذاكرة التاريخ يومًا ما.. عرض صغير من فتاة صغيرة تتوسط المسرح الآن بصحبة أحمد الراوي.. لكنه حقًّا يحمل في طياته الكثير والكثير.

* * *



انتهى اللقاء الأخير بينهما والذي كان لقاءً كارثيًا.

توقعت يسرا أن إياد سيمد لها يد العون، لكنه لم يفعل بل وطلب منها الانفصال لأنه الحل الواقعي الوحيد حتى الآن.. لم تتحمل يسرا الصدمة وسقطت مغشيًّا عليها، حاول إياد إفاقتها بالطرق الطبية البسيطة لكنه فشل ولم يكن هناك بد من الذهاب لأقرب مستشفى..

طلب الطبيب مجموعة من الأشعة والتحاليل للاطمئنان على صحة يسرا، أفاقت يسرا بعد عدة ساعات رافضة المكوث في المستشفى أكثر من ذلك، حيث أنها لا تكره في حياتها شيئًا أكثر من المستشفيات..

غادرت يسرا بصحبة إياد إلى منزلها، بعد أن رفضت انتظار نتيجة التحاليل واكتفت بالروشتة الطبية المليئة بأسماء الكثير من الأدوية..

وصلت يسرا للمنزل ومكثت بغرفتها، حاولت الاتصال بإياد لعدة أيام ولا تستمع إلا إلى نفس الرسالة، في المرة السابقة استطاعت أن تصل إليه عن طريق صديقه علي، فماذا ستفعل الآن؟

هي لا تعلم لم يفعل معها كل ذلك، حتى وإن كان والدها مذنبًا.. فما ذنبها هي؟!

كيف ظهر بتلك القسوة التي لم تعهدها منه من قبل؟!

إياد كان نموذجًا للمثالية في عيني يسرا، كان ملاكًا يتحرك على الأرض.

كانت تعتقد أن مروءة العالم اجتمعت فيه وحده فماذا الآن؟







يعاملها بمنتهى القسوة والجفاء، ويحاسبها على جريمة لا ذنب لها فيها!!

لم تعلم كيف مرت الليالي بعد ذلك..

طلبت إجازة مفتوحة من العمل لحين انتهاء مرضها – كما زعمت –

لازمت الفراش لفترة طويلة ولم تغادره، ولا يوجد في عقلها سوى سؤال واحد.. لم، لم يفعل إياد معها كل ذلك؟؟

كانت على سريرها في تلك الساعة حين اهتز هاتفها.

تصفحت الرسالة التي جاءتها الآن والتي تعلن أن هاتف إياد قد فتح للتو.

لا تعلم ماذا تفعل، هل ستتصل به أم لا؟

قطع صمتها صوت اهتزاز الهاتف مرة أخرى

إنها مكالمة هاتفية، إنه إياد يتصل بها.. فماذا تفعل؟

يا الله كانت تتمنى لو تستطيع الاتصال به والآن هي مترددة في الإجابة!

قطعت يسرا أصوات عقلها، أمسكت الهاتف وضغطت على زر الإجابة

- إزيك يا إياد... أنا الحمد لله وانت... عاوز تشوفني!! دلوقتي؟.... طيب حاضر ربع ساعة ونتقابل في لونلينس.. سلام

أغلقت يسرا الخط وعقلها يعمل أكثر، ماذا يريد هذا المعتوه منها الآن، يتصل ليطلب لقاءها وكأن شيئًا لم يكن!!

تمنت لو أنها لم ترد، لو أنها كانت نائمة، فكرت في الاعتذار عن الميعاد لكن فضولها قتلها لمعرفة ماذا يريد منها ولماذا الآن تحديدًا..



هل سمعت يومًا عن الإسقاط النجمي؟!

سمعت حقًّا!! هذا جيد.

فلو أنك لم تسمع لما فهمت ما هذه الحالة الملازمة ليسرا..

فمنذ أن غادرت المنزل للمرة الأولى منذ اللقاء الأخير، وأنت تشعر أنها أسقطت روحها في غرفتها وغادر الجسد وحده إلى اللقاء..

كانت تجلس على الطاولة الخاصة بها محاولة رسم شبح ابتسامة على وجهها لتداري بها وجوهًا كثيرة لا تريدها أن تظهر أمام إياد..

وصل إياد في الموعد كعادته، لم يتغير كثيرًا عن اللقاء السابق، ربما أصبحت اللحية أكبر قليلًا لكن السواد ما زال يلازم جفن العين..

جلس إياد بجوار يسرا بعد التحية وبدأ بالكلام..

طبعا اِنتِ مستغربة أنا كلمتك ليه دلوقتي.

- آه.. لأ، عادي يعني.

- تمام.. ع العموم أنا مش هاخد من وقتك كتير.

- أنا بس عاوز أقول لك إحنا مش هنكمل ليه.

- مش عاوزة أعرف.

- ماعلش، تعالي على نفسك شوية واستحمليني واوعدك إن الفترة الباقيالك في حياتك مش هتشوفيني فيها تاني.

- الفترة الباقيالي!!.. قالت يسرا متعجبة.







- أيوة، اِنتِ لما تعبتِ المرة اللي فاتت ورُحتِ المستشفى وعملنالك تحاليل اتضح إنك مريضة مرض خطير.. نسبة الشفاء بسيطة جدًّا

- مريضة!! عندي إيه؟

- لوكيميا.

- نعم، إيه لوكيميا دي.

- اللوكيميا دي يعني سرطان الدم.

قال إياد تلك الجملة بنفس البرود الملازم له من أول اللقاء، لم تشعر يسرا بنفسها في تلك اللحظة، لكنها لن تتساقط، لن تظهر أمامه ضعيفة مرة أخرى.. حاولت التماسك أمام تلك الصدمة التي تمر بها الآن، تشعر أن جبلًا ما على كاهلها وسيسقطها.. وهي تحاول ألا تقع.

و دي كل التحاليل والأشعة اللي بتقول إن عندك لوكيميا.

و دا جواب الدكتور، وتقرير مستشفى خاصة ومستشفى حكومي.. يعني دا كدا ورق رسمي يفيد إنك مريضة باللوكيميا وما كنتش عاوز أقول لك إلا لما اتأكد.

صمت قليلًا وأضاف:

- أنا آسف يا يسرا، أنا مش مستعد أكمل حياتي مع واحدة مكتوب لها الموت، وحتى لو عاشت مش هتخلف.. أتمنى إنك تقضي العمر الباقي ليكِ وانتِ سعيدة.

حدثت نفسها قائلة:



- سعيدة!! كيف ذلك؟! أين السعادة التي يتحدث عنها هذا المخبول؟

لم تشعر يسرا بنفسها إلا وهي تسحب الأوراق والأشعة متجهة إلى المنزل، لا تعلم كيف ستواجه تلك الكارثة ولا تعرف كيف ستخبر أهلها!!

* * *

كان المكان مزدحمًا جدًّا في تلك الليلة في الكافيه الخاص بأحمد، مما جعله مشغولًا للغاية..

طلب من جيسي أن تنتظره في غرفته الخاصة حتى ينتهي من بعض الأمور الهامة ويلحق بها..

دخلت جيسي وجلست على ذلك الكرسي الكبير الذي يشبه كراسي الملوك في فترة الثلاثينات، لم يكن الكرسي وحده أو حتى المكتب هو من صمم على ذلك الطراز العثماني، بل كان الكافيه بالكامل وحدة تراثية كبيرة..

انتهى أحمد من متابعة الطاولات وذهب إلى جيسي:

- والله تنفعي اِنتِ رئيس مجلس الإدارة.

- يا سلام.. طب اقعد بقى عشان مش فاضية.

- أيوة أيوة.. اِنتِ هتعملي رئيس عليَّ بقى، حاضر يا افندم.

- ههههههههههه، قولي بقى إيه المشاكل.

- لا عادي شوية حاجات في الشغل، موردين المواد الخام بيتأخروا علينا.. الموظفين والعمال بيتدلعوا والشيف الجديد شغله مش حلو.





- طب كدا كله وحش أمال إيه اللي حلو؟

- اِنتِ يا ست البنات.

- والله انت بقيت بكاش قوي على فكرة.

- مش انا ما شُفتكيش من يوم المسرحية، إيه مستكترة عليَّ أدلعك شوية.

- صحيح، إيه رأيك فيها؟

- يا بنتي مانا قايل لك في التليفون ميت ألف مرة.

- لا لا أنا عاوز رأي تفصيلي بقى في كل حاجة.

- يا بنتي اِنتِ عاوزة رأيي في إيه، المسرحية مكسرة الدنيا، اسكندرية كلها بتتكلم عنك وعن المسرحية دي

- طب وانت؟

- أنا إيه؟

- بتتكلم معاهم؟

- لا واتكلم ليه وانا معايا صاحبة المسرحية؟!

- مش هاغلبك بالكلام انا عارفة، المهم بقى.

- أيوة المهم.

- بابا وماما خلاص جايين بعد أقل من شهر والمفروض إننا نعمل كتب الكتاب والفرح امَّا ييجوا.

- مين قال لك إني موافق ع الجوازة دي؟!






- والله!! قالت جيسي متعجبة.

- باهزر معاكِ يا سوسكتي.

- هزار رخم.

- طيب تسمعي كلامي، أنا شايف إنك تعرفيهم موضوع المرض دا وأصل ما ينفعش نخبي عليهم حاجة زي دي وبعدين اِنتِ دلوقتي أحسن والدكتور بيقول إن الحالة بدأت تستقر.

- دكتور سخيف ورخم.. قالت جيسي مقاطعة.

- بصراحة عندك حق، بس المهم بقى انك تعرفيهم.

- حاضر يا حبيبي هاعرفهم.

غادرت جيسي الكافيه وذهبت إلى منزلها بعدما اتفقت مع أحمد على موعد اللقاء القادم بينهما. فتحت حاسوبها الخاص وأرسلت رسالة إلى أهلها عبر أحد خدمات الاتصال الإلكتروني..

طمأنتهم عليها كما تفعل دائمًا. شرحت لهم باختصار مراحل تطور علاقتها مع أحمد وكيف اتفقا على تحديد موعد الزفاف حينما يصلوا بعد شهر..

أخبرتهم أيضًا بالسر الذي أخفته عنهم لفترة طويلة..

شرحت لهم تاريخها المرضي مع اللوكيميا..

أين ومتى عرفت أنها مصابة، وكيف عرفت. أخبرتهم أن اليوم هو العيد السنوي الأول لمرضها – كما أطلقت عليه – مستخدمة في ذلك أسلوبها الساخر.





وضحت لهم مراحل العلاج التي مرت بها بدءًا من الأدوية والأمصال مرورًا بحقنة النخاع التي تنهك قواها دائمًا.

اعتذرت لهم عن عدم إخبارهم بمرضها كي لا يصيبهم الذعر، كما أخبرتهم أنها الآن في مرحلة متقدمة من العلاج وأنها جاوزت نصف فترة الشفاء كما أخبرها الطبيب.

حدثتهم أيضًا عن ذلك الطبيب " السمج " كما كانت تدعوه..

يقابلها دومًا بابتسامته الصفراء ويتحدث معها عن مرضها الخطير وكأنه دور انفلوانزا، عبارته السخيفة والباردة التي يرددها دومًا:

" إيه يا جيسي ما اِنتِ عندك لوكيميا يعني "

أنهت الرسالة باعتذار أخير، طلبت منهم ألا يغضبوا.. كما طلبت منهم القدوم سريعًا لأنها اشتاقت لهم كثيرًا..

* * *

لم تنم يسرا منذ تلك الليلة، بعد أن أخذت الأوراق والأشعة وذهبت إلى المنزل، ظلت تفكر فيما قاله إياد في تلك الليلة هل هي مصابة حقًّا باللوكيميا؟!

لم تقو على الذهاب للطبيب للتأكد من صحة الأشعة، فقط اكتفت بتسليم الأشعة لشقيقتها التي تأكدت من الطبيب أن يسرا مصابة باللوكيميا، دخلت غادة غرفة يسرا لا تعلم شيئًا عما ستقول..

- ها يا غادة الدكتور قال إيه.



- بوزيتيف.
- فيه لوكيميا؟.. تساءلت يسرا بأسًى.
- أيوة يا يسرا، والدكتور بيقول إن حالتك خطيرة وان قدامك شهور و..
- وإيه يا غادة؟!
- فاضل شهور وحياتك تخلص.
- طب ما فيش علاج؟ بدأت الدموع تتساقط من عيني يسرا..
- للأسف ما فيش يا يسرا، لا هنا ولا برًّا مصر.

زادت الدموع في عيني يسرا وبدأت تتحدث إلى شقيقتها:

- عارفة يا غادة، من أول ما ماما ماتت وانا بقيت أخاف من المستشفيات..

لسَّا فاكرة صوت جهاز النبض في وداني، صوت بيرعبني وبيتعب أعصابي.

لما إياد قال إن عندي مسيوفونيا ما كنتش فاهمة ليه، أنا اتكتب عليَّ أشوف نفس نهاية أمي.. هاموت يا غادة خلاص، هاموت واروح لها.. هي وحشتني قوي، صوت المستشفى في ودني اهو، ريحة البنج.. كل حاجة خلاص شايفاها بتخلص يا غادة..

عارفة يا غادة.. ربنا يخلي لك مامتك.

الحياة من غير أم وحشة جدًّا، عشان كدا أنا هاروح لماما قريب.. لأنها فعلًا وحشتني قوي.

قامت غادة واحتضنت شقيقتها للمرة الأولى في حياتها، كانت تبكي من قلبها لرثاء شقيقتها التي ستغادر الدنيا قريبًا، ملاكًا طاهرًا في مقتبل العمر سيفارق الحياة بلا أي سبب.







انتبهت يسرا لسؤال ما جال بخاطرها

- غادة هو الدكتور مقالكيش إيه سبب المرض دا؟

- بيقول إن ليه أسباب كتير بس النوع اللي عندك سببه وراثي.

- وراثي.. يعني بابا أو ماما عندهم المرض دا.

- لا اللي عنده المرض دايركت ما بيخلفش.

- أُمال جه منين؟

- الموضوع ممكن يكون عن طريق الجد أو الجدة وانتقل بالجينات لحد الأب والأبناء.

- يعني خلاص أنا هموت كدا كدا؟

- بعد الشر عليكِ أنا مش هاسيبك كدا.

- مش هتفرق والله يا غادة، صدقيني مش فارقة المهم، عملتي التحاليل زي ما قلت لك؟

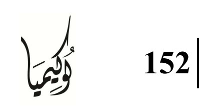
- آه الحمد لله وطلع ما فيش حاجة.

- ألف حمد وشكر ليك يا رب.

- طيب اِنتِ مش هتعرفي بابا؟

- لأ، هو أساسًا مش فاضي وبعدين بلاش لحسن يفتكر إني باستدرج عطفه، عادي بقى يا غادة سيبيني أموت يمكن يحس انه غلط في حقي.. هو صحيح هيزعل شوية بس عادي، زي ما زعل على ماما يومين وكل حاجة هتتنسي وخلاص على كدا.







- إيه اليأس دا يا يسرا، اِنتِ عمرك ما كنتِ كدا.

- عادي يا غادة، لازم الواحد يتعود ويتأقلم على كل حاجة.

استمر الحديث بين الفتاتين على هذا المنوال، تأكدت غادة أن شقيقتها مصابة بحالة من الهذيان أو أنها لم تتقبل الصدمة حتى الآن..

جففت غادة دموعها حتى لا يسألها أحد عن سبب بكائها، غادرت الغرفة وتركت يسرا بمفردها، تحاول استيعاب ذلك الكم من الصدمات الذي تتعرض له الآن.. تحاول تقبل فكرة المرض وتهيئ نفسها للرحلة الطويلة التي ستقابل فيها أمها بعد غياب دام أكثر من عشرين عامًا.

* * *





## (7)

20 / 9 / 2011

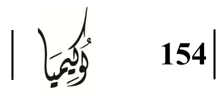
أربعة أشهر أخرى مرت وإياد حالته تزداد سوءًا، يقضي نهاره بالكامل نائمًا حتى المغرب، يستيقظ بعدها ليخرج ولا يعود إلا فجرًا في الدائرة المغلقة نفسها وقد ساعده على ذلك انتهاء العام الدراسي وإلا فقد كان سيطلب مد الإجازة مرة أخرى وهو ما قد كان يؤدي إلى فصله من العمل نهائيًّا..

بالنسبة له لم يكن الأمر بهذا السوء، فلم يعد يبالي بأي شيء من حوله.. فقط يهتم لأمر المقهى الذي أصبح بيته الأول وأهمل كل شيء بعد ذلك، والدته.. علي، حتى آلاته المفضلة وصديقه الأقرب، لم يزره منذ زمن..

كانت أحواله لا ترضي أحدًا أبدًا، فقد كانت الدوائر السوداء تزداد تحت عينيه يومًا بعد يوم، لحيته وصلت تقريبًا إلى صدره أو أسفل بقليل، منظره العام بات يوحي أنه مدمن كحول أو يتعاطى المواد المخدرة..

حاولت والدته وعلي أن يرجعاه إلى صوابه، لكن دون جدوى.. كان يرفض دائمًا تدخل الجميع حتى يئست والدته من كبح زمام الشر بداخله، وأصبحت النيران بداخله دائمة الاشتعال!!

أفاق إياد من ميتته الصغرى على صوت والدته، ذلك الصوت الذي افتقده في الفترة الأخيرة نظرًا لنظامه اليومي المقلوب بالكامل.



- اصحى يا إياد .. اصحى عاوزاك.

- صباح الخير يا ماما.

- صباح إيه احنا المغرب.

- طيب حلو.. سيبيني نايم وصحيني ع العشا.

- اصحى باقول لك عاوزاك يا إياد، يا ابني ما تتعبنيش أكتر من كدا.

استيقظ إياد بعد الضغط الكبير من والدته، تلك الطريقة السحرية التي تميز الأم المصرية في العالم، طريقتها في إيقاظ أبنائها التي لا يوجد لها مثيل في العالم بأكمله..

استيقظ إياد مرغمًا، غسل رأسه بالماء ليطرد منها النوم، بدل ملابسه، ثم خرج لوالدته التي كانت تجلس على الطاولة على غير عادتها..

نظر إياد لها كثيرًا ليجد تلك الدموع المنسابة على عينيها، والتي يعلم بالطبع سببها.. ستتحدث معه بشأن أحواله في الفترة الأخيرة، تطلب منه التغير وتخبره أنها غاضبة من تصرفاته الأقرب للصبيانية.

- كلمتك كتير امبارح ما رديتش عليَّ.

تذكر إياد بالفعل اتصال والدته به بالأمس أكثر من مرة، لكنه كعادته لم يرد.

- أنا عرفت كل حاجة يا إياد.

- عرفتِ إيه؟؟

- اللي انت ما رضيتش تقوله يا إياد، اللي انت خبيته عليَّ.



- خبيته عليكِ؟!.. ساد الصمت مرة أخرى في الحديث، لكن هذه المرة ظهرت ملامح البلاهة على وجه إياد الذي لا يعلم ماذا يفعل الآن.

* * *

إنها اللحظة المنتظرة في حياة جيسي، لحظة تناست فيها آلامًا جاوزت العام بشهرين، إنها لحظة الزفاف

لم يخطر يومًا ببال جيسي خلال تلك الفترة أن شيئًا جيدًا قد يحدث لها، لم تعتقد من الأصل أن المرض سيتعطف عليها كل هذه المدة دون إعادتها إلى ربها..

كانت تلك الفترة أشبه بكابوسٍ سخيفٍ وجب عليها رؤيته يوميًّا دون وجود أي وسيلة للهروب، فقد تحولت حياتها بالكامل إلى لوكيميا.. تفكر به أثناء استيقاظها، أثناء نومها، حتى أنها باتت تفكر فيه في أثناء ممارستها أنشطة الحياة اليومية.. لتتحول الحياة بالكامل إلى مرض قاتل، أو وحش كبير يعذب فيها بشكل مستمر ولا يقتلها..

لم تعتقد يومًا أن مخبولًا ما سيطلب يدها للزواج.. فمن ذا الذي يقبل بتلك المريضة التي تعاني من فيروس خطير كهذا ينتقل في جسدها ليسلب منه نضارتها، ويسلب من صاحبته فرصة العيش حياة طبيعية وإنجاب أحد الأطفال كباقي البشر..

لم تحلم لثوان أن ترتدي فستانًا أبيض اللون وأن تقف بجوار عريسها الذي يعتبر فارس الأحلام لكثير من الفتيات، شاب مثالي بكل معاني الكلمة فهو






أنيق.. مثقف.. ثري بدرجة كبيرة سمحت له بإقامة فرحه في أرقى قاعات الإسكندرية وأكثرها شهرة.. بحضور عائلته البسيطة التي لم تعرف فيها أحدًا حتى الآن..

أما عن عائلتها فقد كان الأمر مختلفًا قليلًا.

تذكرت جيسي الأيام السابقة حين وصل أهلها من أستراليا، توبيخهم الشديد لها لعدم إخبارهم بحقيقة مرضها والتي طمأنتهم أنها أصبحت الآن أحسن حالًا بفضل من الله وبفضل أحمد الذي أعجب به والدها من اللحظة الأولى واعتبره عريسًا مناسبًا لابنته الغالية وبكريته الجميلة..

تذكرت جيسي صديقتها يوستينا، شعرت ببعض الأسى تجاهها مما دفعها إلى تصرف غريب للغاية وهو طلب الحضور بالدعاء لصديقتها وسط حالة من الذهول والدهشة، تذكرت الفستان الأبيض الذي حلمتا به معًا والذي لم يكن بمقدور يوستينا أن تستمتع بارتدائه ولو لساعات..

امتلأت القاعة أيضًا بعدد كبير من فنانين المسرح الاستعراضي ومسرح العرائس، عدد لا بأس به من جمهور جيسي الذي أبى أن يتركها حتى في ليلة زفافها، وذلك الطبيب الذي تكرهه جيسي دومًا بسبب سخافته وعدم قدرته على تجميل الحقيقة يومًا.

- عال عال خالص صحتك النهاردا كويسة والنفسية عال.. قال الطبيب.

- نفسي يا دكتور ترحمني بقى من الكلام دا، وبعدين أنا نفسيتي هتبقى عال فعلًا لما أبطل آجي لك يعني.





- دا بعينك.

خرجت بعض الضحكات من جيسي والطبيب مما دفع والدها للاشتراك:

- دا دكتور حسين يا بابا المتابع حالتي.

- آه أهلا وسهلًا يا دكتور.. قالها رأفت.

- أهلًا بحضرتك يا افندم، أنا مش عاوز حضرتك تقلق خالص جيسي حالتها الفترة دي أحسن بكتير، وبعدين في حالة علاجنا دي العامل النفسي ليه دور كبير قوي في تحسن المرض..

ارتفع صوت الدي جي طالبًا من العريس والعروسة أن يتوسطا القاعة للرقصة ال " سلو " القادمة فاقترب العروسان لترتفع صوت الأغنية التي تعشقها جيسي

Every night in my dream

I see you

I feel you

أغنيه تايتانك الرائعة التي تعشقها جيسي ثم جاء المقطع المنتظر

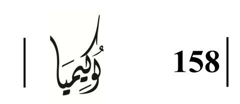
Near.. far

أمسك أحمد خصرها بكلتا يديه ورفعها في الهواء لتبدو كفراشة.. وسط تصفيق كبير من الحاضرين وصيحات البعض.

سقطت دمعة كبيرة من عين جيسي عللها الجميع بدموع الفرح.

- بتعيطي ليه يا حبيبتي؟







- مش مصدقة يا احمد، مش مصدقة إن ربنا عوضني بعد كل دا، ما كُنتش متخيلة إن هييجي اليوم اللي هاتجوز فيه وهابقى بالسعادة دي كلها.

جففت جيسي دموعها وأضافت:

- أنا عاوزة أقول لك إني باحبك قوي.

باحبك يا جنة ربنا ع الأرض و...

قاطعها أحمد قائلًا:

- أنا اللي باحبك قوي يا جيسي.. باحبك قوي قوي.

انتهت الأغنية سريعًا مع وصول الشيخ إلى القاعة لاستكمال مراسم الزفاف وكتب الكتاب..

جلس الشيخ على طاولة تتوسط القاعة على يمينه جلس أحمد وعلى يساره جلس رأفت لإتمام عملية كتب الكتاب.

- قول ورايا يا أستاذ رأفت.

- زوَّجتك ابنتي...

نظر أحمد في تلك اللحظة إلى جيسي، راسمًا قلبًا صغيرًا بيديه إلى جيسي التي احمرت وجنتيها من الخجل، ولم تجد شيئًا لتقوله في تلك اللحظات السعيدة التي لم تحلم بها يومًا.

* * *







أنهى إياد حديثه مع والدته على عجل، بدأت ملامح القلق تبدو على وجهه، قام سريعًا وطلب صديقه علي، أخبره أن عليهم السفر للإسكندرية في موضوع شخصي، دخل إياد الحمام ليأخذ جسمه القسط اليومي من المياه، خرج ليبدل ملابسه وانتظر صديقه علي.

- طب بس مش تقول لي هتعمل إيه؟

- مخنوق يا ماما، عاوز اسافر أفك عن نفسي شوية.

- طب هترجع بالليل؟

- لا هنبات عند علي.

- طيب يا ابني خلي بالك من نفسك.

ارتفع صوت آلة التنبيه من سيارة علي معلنًا الوصول، قبل إياد يد والدته للمرة الأولى منذ شهور.. نزل إلى صديقه علي الذي لم يفهم شيئًا من المكالمة.

- هنروح نعمل إيه؟ قال علي.

- هاحكي لك واحنا ماشيين.

- طيب هنروح بس نحط بنزين عشان الطريق.

وافقه إياد على مضض.

- علي أنا مخنوق وهربان من ماما في البيت عشان مش قادر اتكلم معاها، ومحتاج اقعد مع نفسي شوية.

- على فكرة يا إياد أنا عاوزك في حاجة.. قال علي مقاطعًا.







- إيه يا علي خير؟!

- انت متغير يا إياد بقالك فترة وانا مش عارف مالك، سألتك مرة واتنين وألف وانت مش عاوز تحكي، حتى مامتك مش عارفة مالك.. احنا عاوزين نطمن عليك بس مش أكتر.. أنا مش هاضغط عليك بس هاستناك انت تيجي وتحكي لي زي زمان.

- أنا كويس يا علي، وان شاء الله هابقى كويس بعد المشوار دا.

- لا يا إياد انت مش كويس خالص يسرا السبب؟

- والله يا علي يسرا مش السبب ولا حاجة.. المشكلة مش في يسرا، المشكلة أكبر من كدا بكتير.. عارف، أنا كنت فاهم الارتباط بيكون دايمًا هو الحل السلمي للحاجات اللي زي دي.

- زي إيه؟؟

- زي حكايتي أنا ويسرا كدا، يعني هي كانت شايفاني عريس مناسب وانا شُفتها عروسة مناسبة وخلاص كانت كل حاجة حلوة، لحد ما قررنا ناخد الخطوة التانية

- طيب ما هو دا كويس.

- إيه اللي كويس، اني اترفض وانا مش عارف إيه السبب؟

- لا أقصد.....

- تقصد أو ما تقصدش، بص يا علي.. خدها مني قاعدة كدا، طول ما انتو لسَّا ما ارتبطوش هتفضلوا مبسوطين، حتى لو خايفين هتبقوا مبسوطين..







والجنون اللي بينكم هيبقى أحسن أيام العلاقة والذكريات اللي هتبقى بينكم لو كملتم وساعات هيَّ اللي هتخليكم تكملوا، أما بقى لو ارتبطو فقدامكم طريقين

- وهما؟!

- إما أنهم يوافقوا عليك، وتدخل الدايرة الروتينية اللي احنا عارفينها وساعتها كل حاجة في عينك هتبقى عادية واقل من العادية كمان، كل الشغف اللي بينكم بيخلص وبيختفي تمامًا، وبييجي مكانه بقى فقرة التمثيل، وكل ما هتعرفوا تمثلوا أكتر وتضحكوا على نفسكم كل ما هتكملوا مع بعض فترة أطول، لحد ما تيجوا في الآخر وتكتشفوا إن عمركم ضاع في التمثيلية دي.

- طب والحل التاني؟

- إنك ترفض، سواء رفض مباشر أو غير مباشر بس المهم إن هيتقال لك لأ..

أصل انت مش مناسب لبنتي،

أصلك مش هتعيشها في نفس المستوى، أصل ثقافتك أقل من ثقافتها.

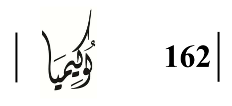
أصل..

أصل..

لحد ما تلاقي نفسك في دوامة كبيرة اسمها التضحية، وتحسوا انتو الاتنين إنكم ضحايا ويا إما تفضلوا كدا كتير يا إما تنسوا مع الشخص الجديد لحد ما ييجي ميعاد الارتباط ونخش في نفس الدايرة.

- وانت بقى في الحل التاني؟

- آه.. بس مش شايف إني ضحية، عادي يعني.. ما بقيتش فارقة.



- ماعلش يا إياد انت بس نسيت إن فيه حل تالت.

- إيه هو.

- انكم ترتبطوا عادي وتعيشوا مبسوطين.

- لا يا علي، الحل دا في السينما بس.. إنما في الحقيقة الكلام دا ما بيحصلش لأن في المطلق عندنا قاعدتين دايمًا ما بيتغيروش، الراجل دايمًا بيشوف الست نكدية ومجنونة والست بتشوف الراجل خاين ودا بيخليهم يا إما يمثلوا زي ما قلت، يا إما ينفصلوا.

- مش عارف أقول إيه، أنا ما بقيتش اقتنع عمومًا بكلامك ولا بحالتك في الفترة الأخيرة، بس كل اللي يهمني إني أشوفك بخير.

لم يعقب إياد على كلام علي، لأنه في الحقيقة كان يتحدث إلى نفسه ناظرًا إلى علي، فعلى الرغم مما فعله به إياد في الفترة الأخيرة إلا أنه استجاب لطلبه ولم يتوان عن تقديم النصائح له، حقًّا إن الصديق الحقيقي كالعطر الثمين.. تزداد رائحته بمرور الوقت ويظهر معدنه الأساسي كلما اشتدت عليه الطرق..

هكذا كان علي، وهكذا رآه إياد الذي انتبه من شروده على سؤال علي:

- ها بقى ما قُلتليش احنا رايحين فين؟

- بص يا سيدي.

بدأ إياد في شرح التفاصيل لعلي، الذي ظهر على وجهه ملامح الدهشة.

* * *









كانت يسرا في أسوأ حالاتها على الإطلاق، جاء الطرق على رأسها دفعة واحدة دون أن يعطيها فرصة صغيرة لكي تلتقط أنفاسها

أولًا صدمة رفض إياد وابتعاده المريب عنها.

ثم صدمة إصابتها باللوكيما التي جاءت لتطيح بما بقي من روحها وتلقي بها إلى أعماق الهلاك.

لكنها وبالرغم من ذلك لم يبدُ عليها الألم، فصدمة السقوط أحيانًا تنسينا الألم، يتجه العقل بالكامل إلى التفكير في الانحدار متغاضيًا عن ألم السقوط، لكن سرعان ما يستوعب العقل ما يحدث ليغرق الجسد بوابل من رصاصات الألم التي تكاد تقضي عليه..

و كان ذلك هو الحال مع يسرا، أوشك العقل على الإفاقة لتدخل دوامة الصراع تلك لكنها لا تعلم متى، لا تعلم شيئًا عن العالم الخارجي من الأساس.

فالعمر يمر بجوارها ولا تشعر به، فتتابع التواريخ لا يعني بالضرورة تتابع الأيام.. حيث يحيطك الظلام من جميع النواحي تفقد الإحساس بكافة الأشياء حتى نفسك، لن تعد تشعر بها!!

كان كل ما يشغل تفكيرها في تلك الدرجة ويؤكد لها أنها لم تمت بعد هو إياد، لم يفعل بها كل ذلك.. ما هو ذنبها لكي تصل إلى تلك الحال البائسة؟

لم يختر القدر دومًا إيذاءها بكل من عرفت من جنس الرجال، ففي الماضي كان والدها سببًا في فقدان أغلى من لديها واليوم إياد السبب في فقد روحها، فلم دومًا تأتيها الصدمات من الرجال!!



حقًّا.. الرجال هم ثاني أسوأ شيء في هذا العالم، يأتي تأثيرهم مباشرة بعد تأثير الحروب، أي أن تأثير الرجال أخطر من تأثير المجاعات..

لا تعرف ماذا تفعل، هل تقضي عمرها – أو المتبقي منه – وحيدة حبيسة بين جدران غرفتها الأربعة؟

ثم أن أهلها بدءوا التشكك في أن الموضوع أكبر من أزمة إياد الصغيرة

هل تكون غادة قد صرحت بمرضها بقصد أو بدون؟

لا لا لا، فغادة أذكى من ذلك بكثير، ثم أنها لن تخبرهم حتى لا تتجه الأضواء تجاهها وتأخذ يسرا اهتمام البيت دونها.

ما هذا التفكير البشع الذي تفكرين به الآن يا يسرا؟؟

أظن أن المرض جعل منكِ عجوزًا شمطاء تنفر وتحقد على الجميع، توزع الاتهامات هنا وهناك من غير حق

ولكن هل حدث ذلك حقًّا مع صنف الرجال؟ هل هي تتهمهم بدون حق!!

لا فالرجل هو الرجل مهما اختلفت الأزمنة، ولا يغير الرجل مع امرأته إلا وجود امرأة أخرى في حياته.

فقد تغير والدها عندما عرف زوجته الحالية.

و لعل إياد تغير لمعرفته امرأة أخرى.

و لكن هل كل الرجال مثل هذين الرجلين، ولكن هل كانت تعرف غيرهما؟

لا إنها لا تعرف، ولا تريد أن تعرف، فلعل تلك العينة العشوائية التي وضعها القدر في طريقها كافية لتحكم عليهم جميعًا.



يرغبون في الحصول على سعادتهم حتى ولو على حساب تعاسة الآخرين، المهم هو السعادة وتحقيق رغباته الشخصية.

فما إن يصل الرجل إلى مرحلة الاطمئنان وكسب قلب امرأة وولائها إلا ويجري لاهثًا وراء غيرها حتى لو كانت بمستوى أقل منها ليكسر قلب المزيد والمزيد ككلب استغنى عن شرائح اللحم بفتات العظام!!

سحقًا لذلك الفكر الفلسفي الذي يجتاحها الآن، أين كان ذلك اللعين بالسابق، لم لم يرشدها للصواب؟! وتلك المغريات التي كانت أمامها ملقاة في وسط الطريق.. لم لم تنتبه لها يومًا؟

هكذا عادة البشر، نرى الحقيقة كل يوم أمام أعيننا ونرفض تصديقها، إلى أن تقع الكارثة وتحل المصيبة، فنندب حظنا ونندم على ما فات من العمر وأضعناه دون أن نلتفت لرسائل القدر..

إذن فليحل الهلاك على قلب يسرا وروحها، ولتستسلم لويلات القدر، دون أن تحاول الفرار..

* * *

انقضى الفرح سريعًا دون أن يشعر الجميع، حتى جيسي لم تشعر بنفسها إلا وهي في السيارة المتجه للمطار..

نعم ستتجه مع أحمد لقضاء شهر العسل في أستراليا كما خططا سابقًا، ونظرًا لعلاقات والدها القوية جدًّا هناك فقد كان هناك برنامج سياحي في انتظارهم لمدة خمسة عشر يومًا، فليس بالضرورة أن يكون شهر العسل شهرًا، إنما هي المسميات فقط كما نعلم ..

أما عن والديها فقد قررا قضاء عطلة قصيرة في مصر لمدة أسبوعين.






وكان القدر يرفض دومًا أن يجمع بينهما، فحتى في المرة التي قررت فيها عائلتها الكبرى العودة إلى مصر، كانت عائلتها الصغرى تستعد للذهاب لأستراليا، إنه القدر كالعادة يرفض الاستجابة لرغبات البشر وتخطيطاتهم، التي مهما ظنوا أنها من صنعهم فيرد القدر إنها من صنع الخاق وحده وقد أحبكها بعناية فائقة لا تشوبها نسبة بسيطة من الخلل.

فالقدر قد جعلها مريضة بمرض خطير، لكنها على الأقل ما زالت على قيد الحياة، تنعم بزيجة سعيدة ومستقبل مليء بالأحلام الوردية على عكس صديقتها يوستينا التي لم تصب بأي مرض لكن اختارها خالقها لتزف إليه بدلًا من عريسها، فالخلاصة تكمن في القدر.. يصعب دائمًا توقع ما يخبئه لنا، وحتى لو ظننا أننا نعلم، سندرك أننا لا نعلم إلا ما أراد الله لنا معرفته.

دار كل ذلك في عقل جيسي في السيارة التي تقطع طريقها في الثانية عشر صباحًا متخذة طريقها لمطار برج العرب بصحبة عريسها أحمد الذي قال:

- ألف مبروك يا حبيبتي.

- الله يبارك فيك يا أحمد، أنا بجد مش مصدقة إن كل دا حصل.

- حصل يا حبيبتي، واحنا اهو رايحين نقضي أجمل شهر عسل في العالم.

- أي وقت هتبقى جنبي فيه يا احمد هيبقى عسل، المهم اننا ما نشدش الخيط سوا.

- خيط إيه؟.. سأل أحمد مندهشًا.

- الماريونيت.

-...!!!! ظهرت ملامح البلاهة على وجه أحمد دون تعليق.




- ههههههههههه.. ضحكت جيسي لتعبير وجه أحمد الذي نم عن بلاهة طفل كبير فقالت مبتسمة:

الحياة يا احمد زي عروسة الماريونيت، والرابط هو الخيط، لو شدينا الخيط دا جامد العروسة هتتقطع، عشان كدا لازم كل شوية نتأكد إن الخيط دا مش مشدود قوي، فهمتني؟

- طبعًا، الجواز هو الخيط، واحنا اللي بنحرك العروسة على مزاجنا.. المهم ما نخليش المشاكل بينْنَا تزيد قوي ونسيطر عليها عشان العلاقة بينْنَا تفضل موجودة وما تتقطعش زي الخيط.

- بالظبط يا احمد.

- مش قادرة تنسي انك لاعبة ماريونيت ولو لليلة واحدة.

- ما انا نسيت معاك نفسي وسلمتك الدفة بكل الخيوط.

- بس شُفتِ الجمهور بيحبك ازاي، الناس فضلت ساعة تهتف باسمك.

- الحمد لله، النجاح دا حاجة من عند ربنا.. فعلًا الجمهور هو اللي بينجح أي فنان والفنان من غير جمهور ولا حاجة.

- طب أنا أنفع م الجمهور؟

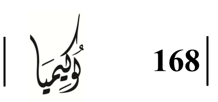
- لأ.

- ليه كدا؟

- عشان انت الحاجة الوحيدة اللي خارج حسابات عقلي ومنطقي.

- باحبك يا جيسي.







- وانا كمان باحبك يا احمد قوي.

طالت النظرات بينهما، دون حديث فلغة العيون أقوى دائمًا من أي شيء آخر..

ظلا على هذا الوضع كثيرًا حتى نبههما السائق إلى وصولهما للمطار.

أخرجا حقائبهما ودخلا المطار، لم يأخذ الأمر منهما أكثر من نصف ساعة وانتهى كل شيء، فقد اهتم الجميع بهم نظرًا لكونهما " عرسان جدد ".

صعدا على متن الطائرة المتجهة إلى استراليا لتأخذ جيسي دفة الحديث.

- انت عارف إن دي الطيارة اللي جات عليها عيلتي من يومين؟!

- طب دا معناه إيه؟؟

- القدر يا احمد.. القدر اللي جمعنا من غير ميعاد واللي خلاني النهاردا أسعد واحدة في العالم.

- أنا اللي أسعد واحد في العالم وانتِ جنبي.

- إحم.. بتكسف يا عم بقى، صحيح طيب هو بابا كان بيقول لك إيه؟

- كان بيوصيني عليكِ، ما يعرفش إني مش محتاج توصية.

- على فكرة، بابا في الفترة اللي كنت باحكي له فيها عنك كان معجب بيك جدًّا، بس انا ما حبيتش أقول لك غير النهاردا.. وبعدين كفاية انه وثق فيك وما رضاش ينزل غير قبل الفرح بكام يوم وهو واثق فيك من غير ما يشوفك.

- طب واما شافني؟!

- قلبه دق، قال باحبك.. أطالت النظر في عينيه فقال:







- بابا برضه قال باحبك؟!

- بخجل: إيه؟! آه.. حتى اسأله.

- لا مش هاسأله عارفة ليه؟؟

- ليه؟؟

- لأني كمان باحبه قوي.

أغمضت جيسي عينها، وضعت رأسها على كتف أحمد. قام هو الآخر بإغلاق عينيه واستعد للذهاب مع شريكة العمر في رحلتهما الأولى إلى عالم الأحلام.

* * *







(8)

1 / 3 / 2012

اعتاد إياد في الشهور الماضية على الذهاب للإسكندرية، إما برفقة علي أو بدونه.. كما اعتادت والدته ألا تسأله عن السبب، حيث لاحظت أن تلك الزيارات كانت سببًا في إعادة إياد إلى صوابه بدرجة كبيرة.

بدأ الأمر في انتظام إياد في مواعيده مرة أخرى.. عاد إلى العيادة والجامعة حتى ولو كان أكثر فتورًا من المعتاد، لكن لا بأس ما دام هناك تحسن في سلوكه، وعلى الرغم من أن الوقت كان مزدحمًا جدًّا في حياته، إلا أنه واظب على عادتين بشكل مستمر:

الأولى هي حفلات العزف الجماعي التي كان يشارك فيها أسبوعيًّا.

والثانية كانت سفره إلى الإسكندرية مرة أو مرتين شهريًّا على الأقل.

كما بدأ إياد دراساته الجديدة في أمر ليس ببعيد عنه، اللوكيميا.. بدأ البحث في مواقع التواصل الاجتماعي عن أشخاص مصابين بذلك المرض داخل مصر وخارجها، بدأ في التواصل معهم ومتابعة حالاتهم بشكل مستمر حتى وقع تحت عينيه اسمًا لم يكن غريبًا عنه، " جيسي رأفت " لاعبة الماريونيت الأشهر في الإسكندرية، تهلل وجه إياد كثيرًا حين وصل لتلك






المعلومة الغالية، وعلى عكس جميع الحالات فقد قرر إياد أن يذهب إلى الإسكندرية تحديدًا لمقابلة جيسي وأن يكون التواصل معها وجهًا لوجه.

تحدث إياد إلى صديقه علي ليعرض عليه السفر في مساء ذلك اليوم، وعلى عكس ما توقع إياد فقد وافق علي سريعًا – على الرغم من رفضه التام في المرات الثلاث السابقة – على أي حال لعل كان ذلك هو السبب، أو لعل القدر أراد أن يقول كلمته ويجعل الأمر أكثر سهولة على إياد في تلك المرة..

وصل علي إلى إياد في الموعد المحدد، ركب علي بجواره ثم انطلقت السيارة في طريقها إلى الإسكندرية في رحلة إياد للبحث عن شيء ما بداخله..

- عارف يا علي.. قال إياد لبدء الحديث وأضاف:

أنا اكتشفت بعد الـ 6 شهور دول إن أنا كنت ماشي غلط

- إزاي يعني مش فاهم؟؟

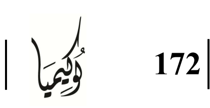
- سمعت عن تجربة البالونة؟

- انت هترد ع السؤال بسؤال، عمومًا لأ ما سمعتش

- حلو.. تجربة البالونة دي بتقول لك إن فيه دكتور جاب 50 بالونة و50 شخص، كتب اسم كل شخص على بالونة وحطهم في أوضة، وطلب من كل شخص إنه يجيب البالونة اللي عليها اسمه.. تعرف حصل إيه؟

- إيه؟؟

- كل واحد في الخمسين فضل يدور على البالونه بتاعته وبعد أكتر من 5 ساعات كان نص العدد أو أقل هو اللي جاب البالونات بتاعته عارف ليه؟



- أوووف.. ليه يا عم الحج؟ قالها علي متأففًا.

- عشان كل واحد دور على البالونة بتاعته هو بس ودا عمل تضارب بينهم وضيع الوقت، لما قال لهم كدا وكل واحد وصل البالونة اللي لقاها لصاحبها.. كل واحد بقى معاه بالونته في أقل من نص ساعة.

- طب ودا معناه إيه، أو يعني بتقولهولي ليه؟

- عشان أنا اكتشفت إني طول الـ 6 شهور كنت بادور على بالونتي أنا وأول ما اكتشفت إني كنت غلطان وصلت للي انا عاوزه.

نظر له علي في عدم فهم وقرر أن يكمل الطريق إلى الإسكندرية دون أن يستفسر عن معنى ذلك الكلام الغريب!

* * *

6 أشهر مرت على زواج جيسي دون أن تشعر بهم، وعلى الرغم من أنها لم تقضِ سوى أسبوعين في أستراليا؛ إلا أن شهر العسل امتد بها حتى تلك اللحظة

فقد كانت الحياة بجوار شريك العمر أشبه بالجنة، ولم يكن أحمد الراوي أي شريك.. بل كان الشريك الذهبي، الفارس الذي جاءها على جواده الأبيض ليأخذها خلفه إلى عالم الأحلام، كانت تظن أن الحياة لن تبتسم لها مطلقًا، لكنها كانت مخطئة تمامًا، فما تضيق الدنيا إلا لتفرج مرة أخرى.

قضت جيسي تلك المدة في ثلاثة أشياء رئيسية:






أولًا: كانت تتابع مع طبيبها بشكل مستمر وتتحمل حقنة النخاع البشعة من أجل إرضاء أحمد.

ثانيًا: كانت تنظم وتجهز لعدد جديد من المسرحيات والعروض دون التخلي عن العروض السابقة.

وأخيرًا كانت تساند أحمد في كل ما يفعل، شاركته في العمل.. المنزل. حتى الأفكار حرصت أن تكون الأفكار ملكية خاصة بها وبها فقط.

كانت جيسي تستعد لمسرحية جديدة مساء ذلك اليوم، وصلت إلى المسرح مبكرًا كعادتها لتراجع النص وعمل بروفة على المسرح وحتي تتأكد أيضًا أن كل المعدات والعرائس في أماكنها قبل مجيء الجمهور.

طلبت جيسي أحمد للتأكد أنه سيحضر العرض أو كان هذا ما أخبرته به، لكنها في الحقيقة أرادت أن تستجمع قواها وتشعر بالراحة في وجوده، فقد كان لذلك الصوت الرخيم أثرًا كبيرًا في تهدئة روعها وتقليل القلق لديها.

جاء ميعاد الحفل وفتح الستار، نظرت جيسي من أعلى المسرح للصف الأول فوجدت أحمد جالسًا في مكانه المعتاد ناظرًا لها، أرسلت له ابتسامة وأغمضت عينيها وبدأ العرض..

انتهى العرض سريعًا وسط وابل التصفيق والصياح الذي يعلن تفوق جيسي على نفسها مرة بعد مرة.. نزلت جيسي وحيت الجمهور بشكل عام، وأرسلت لأحمد تحيته الخاصة.. اتجهت سريعًا إلى غرفتها لترتاح بعد ذلك العرض الذي أرهقها كثيرًا وتلتقط أنفاسها وما إن جلست على الكرسي حتى سمعت صوت الطرق على الباب فظننت أنه أحمد كالعادة.







- اتفضل

فتح الباب على ذلك الرجل ذي الهالات السوداء أسفل عينيه والذي دفع جيسي إلى النظر إليه قائلة:

- مين حضرتك؟

- اِنتِ جيسي صح؟!

- أيوة أنا جيسي مين حضرتك؟

- أنا إياد.. إياد الملواني.

* * *

لم تكن تعرف شيئًا عما يدور حولها، ستة أشهر مروا كسابقيهم دون أن يحدث في حياة يسرا أي تغيير، تأتي شقيقتها يوميًّا وتحضر لها الطعام والشراب فتأخذ منها فتاتًا بعد ضغط كبير من غادة..

أصبحت في حالة يرثى لها، خسرت أكثر من نصف وزنها في تلك الفترة، ظهرت عظام وجهها ودوائر سوداءأسفل عينيها لتجعل من يراها يعتقد أنها في العقد السابع من العمر..

حاول والدها مرارًا أن يتحدث لها لكنها رفضت، كانت تتجنب الحديث معه ومع الجميع، فقد حولتها أصوات العقل إلى صماء بكماء.. تصمت أكثر مما تتكلم بكثير، وإن كان هناك داعٍ للحديث فقد كان مع غادة فقط ولفترات صغيرة جدًّا.

تعلم أنها محطمة بالكامل، لكنها لا تقوى على الاعتراف.. لا تقوى على البوح بأنها في أمس الحاجة إليه.. ذلك اللعين الذي أصبح بمثابة المخدر بالنسبة لها.







كانت تحتاجه في حياتها على الرغم من أنها تمقته. تبكي دائمًا وحدتها وتطلب من السماء أن تعيد إليها ذلك المخدر ولو لدقائق بسيطة. تعلم أنها ستموت قريبًا لكنها تأبى مغادرة ذلك العالم دون أن تراه..

كانت ترى فيه صورة الإله ناركسوس رمز النرجسية الذي حدثها عنه يوم ما، فقد كان ناركسوس ابن إله البحر وإله الحورية كما تقول الأسطورة.. كان جميلًا لدرجة الترفع عن جميع النساء وقتها.

وقد رأت في نفسها صورة الإلهة أيكون التي بكت رفض ناركسوس لها، لكنها لن تفعل كما فعل أيكون.. فقد دعت أيكون إله السماء ليقتص لها من ناركسوس فاستجاب وحوله إلى زهرة النرجس.

أما يسرا فقد دعت السماء أن يجمعه بها في لقاء أخير قبل أن تصعد إلى أعلى فهل ستستجيب السماء ليسرا كما استجابت لأيكون؟!

أرادت فقط أن تخبره أنها تعفو يوميًّا عما يفعل بها، إنها ستدعوا له في الآخرة كما تدعو له الآن!! نعم فهي بالرغم من كل ما بها ما زالت تدعو له..

عرفت يسرا من شقيقتها أن والدها قد علم بما حدث، علمت أيضًا أنه قد جن جنونه.. أقسم على إنفاق كل ما يملك من أموال في سبيل علاجها، لكن الطبيب الذي رأى الأشعة أخبره أنه لا فائدة من كل ذلك وأن المرض قد توغل في جسمها بشكل كامل، وهو ما كان السبب في سوء أحوال يسرا أكثر وأكثر.. حيث كان يخبرها إياد دومًا أن المرض يزداد عند معرفة المريض به، وها هي اليوم مريضة بك يا إياد!!

كانت في وضعها المعتاد حين جاء والدها إلى الغرفة طلبًا في الحديث



- يسرا، أنا عاوز أكلمك شوية.

هزت يسرا رأسها إيجابًا.

- أنا عارف يا حبيبتي إنك بتحبيه، بس ما كنتش عارف إنك بتحبيه قوي كدا، أنا ماليش غيرك يا بنتي اِنتِ وغادة.. بلاش تروحي مني.. أرجوكِ بلاش.

بدأت الدموع تنساب من عيني والد يسرا وللمرة الأولى في حياتها ترى والدها – نبيل منصور – في ذلك الحال وهو دامع العينين.

- ما تعيطش يا بابا.. قالت يسرا لتقطع صمتًا داخلها طال لأيام.

- أنا آسف يا بنتي، أنا فُقت متأخر قوي والله.. فقت بعد ما ضيعتك وضيعت نفسي معاكِ، بس أعاهدك يا بنتي إن اللي جاي في حياتك هاعيشهولك زي ما بتحلمي.. وهتتجوزي إياد وتعيشي معاه أحلى أيام كمان

- انت بتتكلم جد؟!.. قالت يسرا وقد تهللت.

- آه والله العظيم.. بكرة هنروح أنا وانتِ عندهم البيت ونحدد ميعاد الفرح وفي أسرع وقت.. يمكن يا بنتي أقدر أعمل لك في آخر أيامك اللي ما عملتوش طول عمرك ليك..

قامت يسرا واحتضنت والدها وقد امتلأت عيناهما بالدموع فقالت يسرا:

- أنا آسفة يا بابا.. مش عاوزاك تعيط في يوم عليَّ، وعاوزة أقول لك إني لما اموت هادعي لَك وهاخلي ماما كمان تدعي لَك وعاوزاك تعرف إن مهما حصل أنا باحبك وهافضل احبك.

* * *





عادت جيسي بصحبة أحمد إلى المنزل وعقلها لا يتوقف عن التفكير فيما حدث، ولأول مرة منذ أن تزوجت تخرج إلى الشرفة وتعيد الحديث إلى السماء، فقد كان أحمد بديلًا للسماء في الفترة السابقة، لكنها وحتى تحدد موقفها من إخباره بما في عقلها.. ستتحدث إلى السماء لأول مرة من شرفة المنزل الجديد الذي تقطن فيه مع شريك حياتها أحمد.

خرجت جيسي وفي عقلها المئات من الأسئلة أبرزها كان لم؟، لم حدث ذلك الآن تحديدًا.. لا تعلم.. وهل لإصابتها بالمرض علاقة بذلك؟

ثم انتبهت إلى أمر المرض وقد أضاء ما حدث نورًا صغيرًا في عقلها

كانت دومًا تقول لم هي تحديدًا، لكنها الآن أصبحت تقول لم لا؟

فلو قال كل شخص أصيب بحادث من أي نوع، لم أنا.. لما حدثت مشاكل لأي شخص في هذا العالم..

كما أن الحياة كانت لها كرسم القلب إذا توقفت المشاكل توقف القلب عن العمل.

بدأت تشكر ربها لما هي عليه..

شعرت أنها هي المذنبة في حق نفسها وأن ربها لا يظلم أحدًا..

قررت أن تبدأ مع ربها صفحة جديدة وتتصالح مع نفسها، هي مريضة لكنها على الأقل تحيا حياة طبيعية وتمارس كل ما تريد من أنشطة..

أهلها وأصدقاؤها الإقلاء لم يتخلوا عنها يومًا بل كانوا دعمًا لها.



أحمد زوجها الذي كان بمثابة الأب والابن والصديق، لم يتخل عنها يومًا ولم تشعر في وجوده إلا بالراحة والأمان..

شعرت أنها الآن تملك مميزات لا يملكها أحد غيرها، بدأت تنظر للنصف المملوء من الكوب فوجدت أنه بالفعل يوجد الكثير من الأشياء التي تستحق أن تحيا من أجلها مما دفعها إلى الشعور بسعادة غريبة افتقدتها منذ سنوات.

- حبيبي قاعد لوحده ليه؟ قال أحمد بعدما جلس بجوارها.

- ما فيش قاعد بافكر

- امممم، وبتفكر في إيه بقى؟

كانت جيسي قد حسمت موقفها من إخبار أحمد وقررت إخباره بكل التفاصيل كما كانت تفعل دومًا.

- يعني بافكر في اليوم النهاردا والعرض، والضيف اللي جالي في الآخر دا، خدت بالك منه؟

- آه طبعًا خدت بالي وانا جاي لك ولقيتك ما علقتيش فما رضيتش أبقى رخم يعني.

- إيه يا عم تبقى رخم دي؟! أنا مراتك.

- وعشان اِنتِ مراتي أنا واثق فيكِ وعارف إنك مش هتخبي حاجة عني واهو طلعت صح.. مين دا بقى؟

- دا يا سيدي إياد الملواني.







بدأت جيسي في سرد التفاصيل التي حكاها لها إياد دون تعديل، وأحمد يسمع كل ما تقوله جيسي دون تعقيب.

* * *

غادر إياد المسرح والإسكندرية كلها عائدًا إلى منزله، حقق اللقاء الغرض المطلوب منه ولم يجد سببًا ليمكث هناك أكثر من ذلك.

وصل إلى منزله بعد يوم شاق، دخل وقبل يد والدته التي كانت تستعد لصلاة الفجر وأخبرها بما فعل في ذلك اليوم، ثم ألقى بجسده على السرير ليغرق سريعًا في النوم ويرتاح جسده وعقله بعد تلك الزيارة المهمة للغاية..

لا يعلم كم مر من الوقت وهو على هذا الحال، لم يشعر بشيء حوله، كان يرى مجموعة من الأحلام الغير مكتملة والتي كان يفسرها دائمًا بسبب الإرهاق الشديد..

شعر أنه يتحرك فجأة لكن لا يعلم لم، ثم استغرق وقتًا آخر ليكتشف أن والدته هي من توقظه بمنتهى الهدوء على غير العادة..

- إياد اصحى يا ابني فيه ضيوف.

نظر لها إياد بنصف عقل وعينان تقاوم النعاس.

- الساعة كام يا ماما؟

- الساعة 3 الضهر.. اصحى يلا باقول لك فيه ضيوف.

- ضيوف مين؟







- يسرا وباباها.

- بتقولي مين؟!

قفز إياد من على السرير سريعًا، دخل إلى الحمام وبدل ملابسه التي قضى بها يوم سفره ثم خرج للقائهم.

للوهلة الأولى لم يعرف يسرا، فقد أصبحت هيكلًا عظميًّا محاطًا بالجلد، وعينان يبدو عليهما البكاء المتواصل لأيام ومحاطتين بدوائر سوداء يعلمها إياد جيدًا ويعرف أسبابها..

- أهلًا يا أستاذ نبيل، أهلًا يا يسرا يا بنتي.. قالت الأم.

- إزيك يا إياد يا ابني.. قال نبيل.

- أهلًا بحضرتك يا أستاذ نبيل

- إيه أستاذ نبيل دي؟! قول لي يا عمي زي أول مرة.

- أفندم؟! قال إياد متعجبًا.

- طب أنا هاقوم أجيب لكم حاجة تشربوها.

قالتها والدة إياد وهي تنظر له تلك النظرة التي تعني أنهم ضيوف.

- شوف يا إياد يا ابني، أنا عارف إنك اتقدمت وانا رفضتك، بصراحة ما كنتش عارف إنك بتحب يسرا وهي بتحبك كدا، أنا يا ابني ما عنديش غيرها هي وغادة ولازم اختار لهم أحسن عرسان.

استشعر إياد نبرة الاستعطاف في صوت نبيل فاستغل الموقف قائلًا:







- آه وبعدين يا أستاذ نبيل، ولا اقول لك أنا.. عرفت إن يسرا مريضة وشهورها في الدنيا معدودة. قلت مين بقى الاهبل اللي يلبسها، أنا صح؟! لا يا أستاذ نبيل أنا آسف أنا جيت لك زي النهاردا من سنة وانت رفضتني شوف بقى ربنا انت اللي جاي لي برجلك بعد سنة تتحايل عليَّ..

دخلت والدته في تلك الأثناء حاملة أربعة أكواب من الشاي لتمنعه من الاستمرار.

- اتفضل الشاي يا أستاذ نبيل، أنا أحسن حد بيعمل شاي في العيلة.

- تسلم إيدك يا ست ام إياد، ها قُلت إيه يا ابني؟

انهارت يسرا في هذه الأثناء، غادرت كرسيها زحفًا على ركبتيها متجهة إلى إياد، لتقول بنبرة أسًى مخلوطة بانكسار:

- ارجع لي يا إياد أنا ماليش ذنب، يا إياد أنا باحبك.. لو هاموت انا موافقة أموت وانا في حضنك، أنا عاوزة أموت وانا مراتك يا إياد، أبوس إيدك يا إياد.. أبوس إيدك يا طنط اقنعيه.

حملت والدة إياد يسرا من ذراعيها لتجلسها على الكرسي، نظرت لإياد نظرة استعطاف طالبة منه الموافقة، انتظر إياد قليلًا ثم قال:

- ماشي.. موافق، شوف تحبوا إمتى، آه أنا مش جاهز ومش هاعرف اكون نفسي وهتيجي تقعدي هنا معايا في البيت.

نظرت له يسرا، انطلقت لغة العيون بينهما لتخبره كم كان قاسيًا عليها طوال المدة السابقة، والآن هو يقسو مجددًا، دون أي ذنب لها.. لم يا إياد أصبحت بتلك القسوة، لم تكسر ذلك القلب الذي تعلق بك؟






- ألف مبروك يا بنتي.. قالت الأم ليقطعها إياد.

- تحبوا الفرح يبقى إمتى وفين؟

- اللي تشوفه يا ابني.. قال نبيل.

- كمان شهرين في أي مكان تختاروه.

- اشمعنا شهرين.

- مزاجي كدا، أنا حر.. يمكن تغير رأيها.

- طيب يا ابني اللي تشوفه.

نظر إياد ليسرا النظرة الأخيرة، نظرة لم تفهمها مطلقًا، تجمع بين الاعتذار والشر، اللين والقسوة.. نظرة لا تفهمها عين بشرية بل يشعر بها قلب مريض!

* * *

شرحت جيسي لأحمد كل ما دار بينها وبين إياد، لم يعلق أحمد كثيرًا، اكتفى باستفسار بسيط أو ملحوظة صغيرة..

ظلا على هذا الحال حتى غلبهم النعاس..

استيقظت جيسي على صوت رنين هاتفها، نظرت للساعة لتجدها الثامنة من مساء اليوم التالي، أجابت ليخبرها الطبيب بضرورة حضورها إليه الآن وعلى وجه السرعة.. أغلقت الخط وطلبت أحمد لتخبره بما حدث، كما طلبت منه المجيء ليذهبا للطبيب معًا، فأخبرها بأنه سيحضر ريثما تغسل وجهها وتأخذ قدحًا من القهوة..







جاء أحمد سريعًا كما أخبرها، ذهبا للطبيب السمج الذي تكرهه جيسي للغاية، وبعد الترحيب بهما بدأ في الحديث:

- شوفي يا مدام جيسي عشان نخش في الموضوع على طول.

- اتفضل يا دكتور.

- دلوقتي في دوا جديد اكتشفوه للوكيميا.

- طيب حلو قوي.. قال أحمد مقاطعًا.

- ما هو فيه مشكلة يا أستاذ أحمد.

- إيه يا دكتور؟ قالت جيسي.

- المشكلة إنه لسَّا ما خدش الموافقة من الـ " إف دي إيه "

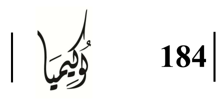
- طب والسايد إيفيكت بتاعه يا دكتور؟

- ما حدش عارف لسَّا كل اللي جربوه في العالم 2 أو 3 عشان كدا لو قررتِ تاخديه هيكون على مسؤليتك الخاصة.

شعرت جيسي أن الطبيب لم يعد سمجًا، بل أصبح مجنونًا بالكامل.. بات يتعامل معها على أنها أحد فئران التجارب، سيتركها تجرب ذلك الدواء الذي لا يعلم أحد عن آثاره شيئًا حتى الآن.

بدأت جيسي تفكر في الأمر، نظرت لأحمد الذي أمسك يدها ليشد من أزرها، قالت في قرارة نفسها إنها بالأمس قد فتحت صفحة جديدة مع ربها، فهل استجاب لها فعلًا وأرسل لها ذلك الدواء؟

- موافقة يا دكتور... قالت جيسي.



- طب امضي بقى ع التعهد دا.

أمسكت جيسي القلم ووقعت على التعهد ثم اتجهت ببصرها صوب علبة الدواء الموضوعة أمام الطبيب وقالت في نفسها.

انت هتخففني، أنا متأكدة إن ربنا باعتك ليَّ عشان تخففني.

* * *





## (9)

7 / 5 / 2012

جاء يوم الزفاف وقد كان اليوم طويلًا على الجميع

بالنسبة ليسرا، فقد كانت غرفتها في ذلك اليوم مزارًا سياحيًّا، يدخل الجميع ويخرج لإحضار أدوات التجميل أو الفستان وغيرها.

بدأت غادة وصديقاتها في رسم الحنة على جسدها امتثالًا للعادات القديمة، ذلك الجسد الذي عادت له الروح في شهرين فقط وعادت به يسرا إلى حيويتها المعهودة..

ظلت الوضع هكذا في غرفة يسرا بين حركة الفتيات وأصوات أجهزة التسجيل وبين رنين هاتف يسرا كل فترة ليطمئن عليها إياد..

أما عن إياد نفسه، فقد ذهب للحلاق الخاص به صباحًا ليستعد لتلك الليلة، برفقة صديقه الوحيد ورفيق الدرب علي..

كان يطمئن كل فترة على يسرا من خلال مكالمة تطول أحيانًا وتقصر أحيانًا، ليعلم متى ستنتهي من كل ذلك ليمر عليها إياد ويأخذها إلى استوديو التصوير مزفوفين في سيارة علي..

رفع أيضًا سماعة الهاتف ليطلب جيسي التي زارها عدة مرات خلال الشهرين ويأكد عليها موعد الفرح والتي بدورها كانت مستعدة هي وأحمد للحضور.






انتهت تلك الترتيبات سريعًا، ارتدى كل من علي وإياد بدلتيهما بمنزل إياد، بعد رفض محاولات إياد المستميتة أن يبدلا ملابسهما في الفندق كما أراد والد عروسته..

نزل علي وإياد ووالدة إياد، ذهبا إلى منزل العروسة واتجهت السيارات كلها إلى محل التصوير المخصص ومنها إلى الفندق.

قال علي مازحًا:

- أنا لحد آخر لحظة مش مصدق إنك هتعمل فرح.

- عادي يا علي أنا لسَّا عند رأيي برضه، أنا ما باحبش الأفراح.

- طب بس مش هارد عليك عشان خاطر يسرا بس.

- طب تراهني إن الفرح هيقلب غم؟

ارتفعت صوت الضحكات في سيارة علي حتى وصلوا للقاعة.. كان هناك استقبال باهر في انتظارهم، فقرات مختارة ومنظمة بعناية من أجل ذلك اليوم، والتي أعدها يسرا وإياد بالاتفاق خلال الشهرين الماضيين.

بدأ صوت الـ "دي جي مان" طالبًا منهم أن يتوسطا المسرح للرقصة الـ " سلو " الافتتاحية

ارتفع صوت الفنان الشهير صابر الرباعي بأغنية

أجمل نساء الدنيا.. جوَّا عيونك اِنتِ

أجمل نساء الدنيا.. اِنتِ يا حبيبتي

" نظر إياد مباشرة في عينيها قائلًا:





- أنا آسف يا يسرا، آسف على كل حاجة.

أنا عمري ما حبيت إني أزعلك

لأني فعلًا باحبك.

- وانا كمان يا إياد باحبك قوي

نظر إياد إلى مدخل القاعة، وجد جيسي قد جاءت برفقة زوجها أحمد، ممسكة بذلك الصندوق الذي أعطاه إياد لها في زيارته الأخيرة..

ابتسمت له وابتسم لها، ثم فجأة توقفت الأغنية وانطفأت الأضواء طبقًا لإشارة إياد لـ "دي جي مان"

هل جربت يومًا ما إحساس الوحدة؟

حسنًا ما هو شعورك حين يحيط بك الضوء الباهر من جميع النواحي فلا تستطيع الرؤية

يصبح البشر مجرد أشباح حمراء تتحرك في خلفيتك السوداء والأصوات كلها عبارة عن صوت البحر داخل الأصداف؟

ترى الجميع يتحرك نحوك ولا تفهم ما الذي يحدث.

ثم فجأة، يأتي الظلام.. والظلام وحده يحيط بك.

عادت الأضواء للقاعة مرة أخرى، نظرت يسرا حولها باحثة عن إياد حتى وجدته، ملقًى بجانبها على الأرض دون حركة، حاول الجميع تحريكه لكن دون جدوى، انتقل إياد إلى السماء وانتهى الأمر..







تجمع الناس حول إياد محاولين إفاقته، انقلب الصياح إلى عويل، انقلبت الزغاريد إلى صرخات وبدأ البكاء يسيطر على الجميع.

في ذهول يسرا وعدم تقبلها للفكرة، اقتربت منها جيسي حاملة ذلك الصندوق وطلبت من يسرا أن تفتحه استجابة لوصية إياد.

فتحت يسرا الصندوق وهي غير مصدقة، وجدت بداخله ورقة واحدة تحوي رسالة، فتحتها وهي في حالة من الذهول لتقع عينيها على تلك الكلمات التي تقع في بداية الجواب ..

حبيبتي يسرا

اِنتِ أكيد بتقري الجواب دا وانا ميت، أنا عاوز أقول لك إن مش اِنتِ اللي هتبقي مبسوطة وانتِ ميتة في حضني، أنا اللي أسعد راجل في الدنيا وانا ميت في حضنك دلوقتي.

أما خرجت من بيتكم من سنة بعد ما باباكِ رفضني تعبت ورحت المستشفى، ساعتها اكتشفت إن عندي لوكيميا، أول ما فقت م الصدمة ما فكرتش غير فيكِ، من كتر حبي فيكِ بقيت خايف أقول لك عشان ما تتصدميش، بدأت أبعد، أكرهك فيَّ على قد ما اقدر، ولما حسيتك منهارة قلت لك إن اِنتِ اللي تعبانة عشان أصغر في عينك أكتر، وتكرهيني أكتر واكتر، الورق والتحاليل اللي معاكِ دي بتاعتي،





اديتهم لك وانا متأكد إنك مش هتبقي بالشجاعة إنك تروحي تحللي ودا بسبب مرض والدتك..

* * *

المسيوفونيا دا نوع من أنواع الاضطراب العصبي، لما بيسمع صوت معين زي صوت بندول الساعة أو حركة القطر، ودا بيخليه متعصب أو متضايق كل ما بيسمع الأصوات دي ودا غالبًا بييجي للإنسان بسبب حادثة قديمة في حياته أو ماضي هو مش عاوز يفتكره..

* * *

و النهاردا وبعد سنة، جيتِ وانا شايفك بتموتي قدامي ومش عارف اعمل إيه، واما حسيت إن ما فيش فايدة وافقت اننا نتجوز وانا خايف م اللحظة اللي هتقري فيها الجواب وافقت بس عشان الخوف اللي شُفته ف عينيكِ ونظرة الاستعطاف اللي كنتِ بتبصي لي بيها..

آه على فكرة، اللي هتديكِ الجواب دي أختي ياسمين.

حكيت لك أنا عنها قبل كدا.

* * *

صدقيني مش عارف، هو آخر مرة ظهر بعد الانفصال بـ 5 سنين وقال انه اتجوز وخلف بنت اسمها ياسمين، وانه هيبقى يطمن علينا كل فترة وبعد كدا اختفى..

* * *



مش هتصدقي ازاي، صدفة بتحصل مرة في المليون وفي الأفلام العربي البايخة كمان

يوم 20 / 9 اللي فات كان فرح ياسمين بابا جالنا البيت وانا مش موجود

* * *

أنا عرفت كل حاجة يا إياد

عرفتِ إيه؟؟

اللي انت ما رضيتش تقوله يا إياد، اللي انت خبيته عليَّ.

خبيته عليكِ؟! ساد الصمت مرة أخرى في الحديث، لكن هذه المرة ظهرت ملامح البلاهة على وجه إياد الذي لا يعلم ماذا يفعل الآن.

باباك كان هنا وقال لي إنك عيان وعندك سرطان الدم.

طب وهو عرف ازاي، دا.. هو.، إزاي عرف؟

عشان أختك عندها نفس المرض وان المرض دا اتنقل بينكم بالوراثة.

* * *

سافرت بعدها اسكندرية كذا مرة عشان أوصل لياسمين، سألت عليها، دورت ع النت.. وما كنتش عارف إن اسمها جيسي.

ما هو ياسمين اما سافرت أستراليا سموها جاسمين عشان مبينطقوش حرف الـ " ي " واما كانوا بيدلعوها كانوا بيقولوا لها يا جيسي، ومن هنا بقى اسمها جيسي.

* * *







فتح الباب على ذلك الرجل ذي الهالات السوداء أسفل عينيه والذي دفع جيسي إلى النظر إليه قائلة:

- مين حضرتك؟

- اِنتِ جيسي صح؟!

- أيوة أنا جيسي مين حضرتك؟

- أنا إياد.. إياد الملواني، أخوكِ يا ياسمين.

* * *

أنا عرفت كدا لما بدأت أدور على مرضى اللوكيميا في مصر بعد 6 شهور من الزيارات للإسكندرية من غير فايدة دورت ع النت ووصلت لها.

* * *

عشان أنا اكتشفت إني طول الـ 6 شهور كنت بادور على بالونتي أنا وأول ما اكتشفت إني كنت غلطان وصلت للي انا عاوزه.

* * *

تاني زيارة ليها خدتني معاها للدكتور بتاعها، هي بتعتبره سخيف شوية.. وانا باعتبره سخيف قوي، عشان قال لي إن قدامي أقل من شهرين وهاموت، حتى الدوا الجديد اللي اكتشفوه مش هينفع في علاج حالتي لأنها متأخرة قوي، فكرت إيه اللي ممكن أعمله فكتبت الاعتراف دا واديته لياسمين.. وطلبت منها إنها تسلمهولك يوم الفرح، أنا ما كنتش متأكد إني هموت في






اليوم دا.. بس انا متأكد إن الأفراح دي حاجة سخيفة وعارف إنها دايمًا بتقلب بنهايات مأساوية، عشان كدا كتبت الاعتراف وطلبت منها تديهولك النهاردا..

لأول مرة ألوم نفسي إني ما فكرتش اتعالج، عشان فعلًا كان نفسي أعيش معاكِ عمر جديد، بداية جديدة.. حدوتة نكتبها أنا وانتِ وبس..

قصة غريبة شوية وجايز كنا بنشوفها في الأفلام، أو زي ما قلت لك صدفة بتحصل مرة في المليون.. بس حصلت.

المهم إني مش عاوزك تزعلي مني يا يسرا، وعاوزك تعرفي إني من أول يوم شُفتك فيه وانا بادعي ربنا يجمعني بيكِ في بيت واحد..

حتى لما عرفت إني عيان كان كل همي إني أبعد عنك عشان ما اعذبكيش معايا.

بس دلوقتي أنا مرتاح.

مرتاح وانا متأكد إنك بتحبيني.

مرتاح وانا ميت بين إيديكِ اِنتِ

خلي بالك من ماما يا يسرا دي ما كانلهاش غيري، خلي بالك من ياسمين.

واهم حاجة تخلي بالك من نفسك.

باحبك يا أحلى هدية ربنا بعتهالي.. باحبك يا أجمل زوجة وحبيبة في العالم.

إمضاء

إياد رأفت الملواني

* * *







قرأت يسرا الرسالة التي ضاعت معظم حروفها بسبب دموعها، أغلقت الورقة.. نظرت لإياد الملقى أمامها على الأرض وهمست في أذنه قائلة:

باحبك يا إياد.. أنا اللي آسفة، آسفة قوي.

بس خلاص الاعتذار والندم مالهمش لازمة دلوقتي.

* * *



## (10)

7 / 5 / 2015

دخلت جيسي إلى المسرح للمرة الأولى بدون عرائسها، فاليوم ستقدم شيئًا مختلفًا، لن تقدم عروض للعرائس المتحركة بل ستقدم تجربتها الذاتية للجمهور، وقفت على خشبة المسرح وبدأت حديثها قائلة:

هارجعكم بس بالزمن 5 سنين ورا واللي ابتدت فيهم تجربتي مع اللوكيميا

بدأت جيسي بسرد تفاصيل حياتها من البداية

بداية من انفصالها عن أهلها للعيش بمفردها

لقاءها الأول بأحمد الرواي وموت صديقتها يوستينا

ثم حفلاتها على المسرح وزواجها من أحمد الراوي

وأخيرًا الحقائق التي اكتشفتها مؤخرًا..

ثم أضافت:

خمس سنين ما اقدرش أبدلهم نهائي، خمس سنين اتعلمت فيهم قيمة كل لحظة وكل دقيقة تتعاش، خمس سنين عرفت فيهم ازاي أبص لنص







الكوباية المليان، وانه بالرغم من كل وجع في حياتنا ربنا دايمًا بيبعت لنا اللي يعوضنا.

وقت ما عرفت إني عيانة حبيت قوي وحياتي بقت حلوة.

وقت ما اعز صاحبة ليا ماتت، اتجوزت الراجل اللي ما اتخلاش عني لحظة.

حتى وقت ما اخويا مات.. علمني إن الواحد لازم ما ييأسش واني لو يئست ما كنتش وصلت للي انا فيه دلوقتي..

عشان كدا باقول لكل حد هنا، لازم تعرف قيمة كل دقيقة من عمرك وتستثمرها صح، عشان اللي بيروح ما بيرجعش، ولازم كل واحد هنا يتأكد إن ربنا لو خد منك حاجة أكيد هيعوضك بحاجة تانية..

وأهم حاجة بقى، عاوزة أقول لكم خبر سعيد جدًّا، إن الدوا اللي أنا خدته لمدة سنتين وبعد قصة حب رهيبة بينْنَا.. قدر يخففني بنسبة 95 %

شكرًا ليكم، تحياتي أنا ياسمين رأفت الملواني.

ارتفعت أصوات الهتافات والتشجيع كما هو المعتاد، لكن هذه المرة لم يكن التشجيع لعرائس جيسي أو عروضها، بل كان لشخص جيسي بعد تقبلها لتحدي صعب يستسلم له الكثير من البشر..

غادرت جيسي خشبة المسرح، وهمت بالخروج حتى استوقفها شخص ما

- مدام ياسمين.. مدام ياسمين.







- أيوة، مين حضرتك.

- سامي ربيع، الكاتب والصحفي بجريدة أسلوب حياة.

- آه أهلًا وسهلًا يا افندم، خير

- أنا كنت باعمل رواية جديدة ومحتاج فيها مساعدة حضرتك.

- طبعًا يا افندم ما فيش مشكلة، اسمها إيه الرواية؟

- صمت قليلًا ثم قال " لوكيميا "

تمت

* * *







ملاك باوراق رسميه

- نعم، إيه لوكيميا دي.

- سرطان الدم..

قالها إياد بنفس البرود الملازم له من أول اللقاء، لم تشعر يسرا بنفسها في تلك اللحظة، لكنها لم تتساقط، لن تظهر أمامه ضعيفة مرة أخرى.. حاولت التماسك أمام تلك الصدمة التي تمر بها الآن، تشعر أن جبلًا ما على كاهلها وسيسقطها.. وهي تحاول ألا تقع.

و دي كل التحاليل والأشعة اللي بتقول إن عندك لوكيميا .
و دا جواب الدكتور، وتقرير مستشفى خاصة ومستشفى حكومي.. يعني دا كدا ورق رسمي يفيد إنك مريضة باللوكيميا وما كنتش عاوز أقول لك إلا لما اتأكد.

صمت قليلًا وأضاف:

- أنا آسف يا يسرا، أنا مش مستعد أكمل حياتي مع واحدة مكتوب لها الموت، وحتى لو عاشت مش هتخلف.. أتمنى إنك تقضي العمر الباقي ليكِ وانتِ سعيدة.




لوكيميا
ملاك باوراق رسميه
شادي أبو شهبة

